غادة السمّان

ليلُ الغرباء

Bibliotheca Alexandrina
0013941

منشورات غادة السمان

Akhawia.net

الإهداء

إليك

يا من جعلتني أعي غربتي

لك ، ولذكرى حكاية لم نعشها

غادة

Akhawia.net

Akhawia.net

تمطر تمطر

تمطر برداً رمادياً وسأماً . تمطر منذ الصباح ، وعلى وتيرة واحدة .. على وتيرة واحدة ..

تزرعني في قطار بطيء يخترق صحارى شاسعة ميتة ، وركابه لا يعرف بعضهم بعضاً ، وكل منهم يتحدث لغة لا يعرفهـا الآخر ، ولا أحد يدري إلى أين يمضي ، أو من أين أتى ..

تمطر ببلادة واستمرار ...

والقطة لم تنقطع عن نواحها في الحديقة ... نواح خـافت ملتاع .. أحسه نصلاً حاداً لسكين تنغرس ببطء واستمرار في بطني . لا أدري لماذا لا أجرؤ على التخلص منها ، كما لا أدري لماذا قتلتُ أطفالها منذ أسابيع .

(في الليل سمعت مواء فظيعاً .. كانت أول مرة أسـمع قطتي المدللة تعول هكذا . تبعت الصوت . وجدتها في مرسمي ، قرب النافذة ، وعلى الوسادة خمس قطط صغيرة تتحرك ، وتزقزق .. خمسة أطفال هكذا للقطة ، ودفعة واحدة ! ... لا أدري لماذا انتزعتها رغم أظافرها المنشبة في يدي ، وفتحت

Akhawia.net

النافذة ، ورميت بالقطط الخمس منها ، واحداً بعد الآخر .. كانت لا تزال تنوح ، وكان في عينيها اتهام حاقد مخيف ... نظرة إنسانية كتلك التي قد تطل من عيني امرأة سحلوا أولادها أمام عينيها ... على جدران المرسم كانت عشرات اللوحات لعشرات الأطفال .. ووجوههم متشابهة كأنها وجه واحد لطفل لم يلد بعد ، لكنني أعرف ملامحه جيداً ... حتى أجساد الرجال في لوحاتي كان لها وجه ذلك الطفل .. حتى أجساد الازهار ، حتى أجساد الأشياء كان لها وجه طفلي الذي لم يلد .. وأنا أغلق الباب على نواحها سمعت أن مئات الأطفال في لوحاتي يبكون بمرارة وشراسة) ...

تمطر تمطر

تمطر أمسية جديدة كئيبة .. ليتها تنفجر رعداً .. تتمزق أحشاؤها برقاً ، تهذي رياحها في شقوق النوافذ وتصفر ، كي تخرس القطة ، ويكف السأم عن السأم .. أي شيء ، أي شيء إلا هذا الركود الميت الذي يصبغ أيامي في هذه الفيلا المخيفة . وهو ، رغم الصقيع مغروس على الشرفة منذ أكثر من ساعة بلا حراك ..

وفزاع الطيور مغروس في آخر الحديقة بلا حراك أيضاً ..

(انه صامت دوماً .. منذ زواجنا لم نتبادل الحديث إلا نادراً .. تراه يتحدث إلى فزاعي الطيور وأشباح الحدائق) .. يخرج لفافة جديدة (لماذا لا يقدم لفزاع الطيور سيجارة) في أيام زواجنا الأولى كان ذلك الصمت البارد يتعسني .. يرمي بي في حديقة صفراء حلزونية يموت فيها حتى الصدى .. في أيام زواجنا الأولى كان لا يزال قادراً على اتعاسي .. طالما بحثت

Akhawia.net

له عن اعذار بينما أنا أرسم وأرسم لوحات لأطفال ، وأتمنى لو تصرخ لوحة يوماً ، ويقفز منها طفل حي ... عشرات الاعذار « انه قاض ، وفي كل ما يدور ظلم لي .. ولكنه أيضاً رجل أعمال كبير .. ربما تسرب ذلك الجزء من شخصيته إلى علاقتنا .. عواطفه تخضع لقانون العرض والطلب .. ان تجهمت هش لي ، وان صمت أغرقني بفصاحة مفاجئة .. ان بدوت راغبة به استخف بي ، وان أعرضت عنه اشتعل وجداً » ...

وتعلمت يومئذ كيف أحرق كلمات الحب الفائضة على شفتي كما يحرقون البن في البرازيل كي لا تتدنى أسعاره ..

سئمت طعم الرماد ...

تمطر بين جلدي ولحمي .. تمطر داخل عظامي .. في حلقي . فأعجز عن الاجابة على سؤاله الذي يصفع وجهي مع تيار البرد المنطلق من الباب : هل اتصل الطبيب وبلغك النتيجة ؟

— لا .. لم ...

— من ؟ من اتصل اذن ؟

— هم . ينتظرونك .

سمعت صوتي قاسياً جارحاً .

ينتظرونك ، قلتها كأنني أطلق عليه الرصاص .. لكنه لم يترنح ولم يسقط صريعاً ، وإنما عاد يغلق باب الشرفة خلفه ، ويخرج إلى فزاع طيوره .. اسمعني أكرر : « هم » .. « هم » « ينتظرونك » ...

أراهم هناك ينتظرونه ..

أراهم هناك متحفزين . يدخل إلى الغرفة مجموعة من المتناقضات الناجحة .. عينان هرمتان وابتسامة طفولية ... الحركة الهادئة

Akhawia.net

لقاض ، والمظهر الرياضي لرجل أعمال وسيم ..

أراهم هناك يتأملونه .. ثم سيقولون شيئاً كثيراً .. سيتهمونه بشيء خطير .. سيتحدثون بشراهة ، كما تأكل الغربان لحماً من جرح مقيد لما يمت بعد ..

ولن يجيب . أعرف انه لن يدافع عن نفسه . سيظل يواجههم بالبرود نفسه الذي طالما احرقني ..

ثم سيتحدونه . لديهم شاهد اثبات . سيضحك باستخفاف . سيصرخ أحدهم في وجهه : اننا واثقون من التهمة . انك لم تدرس قط اضبارة متهم واحد .. كنت تهمل كل شيء ، المرافعات والأدعاء ، كل شيء .. كنت تدخل إلى المحكمة وفي جيبك مجموعة من الأوراق المطوية . وعلى كل ورقة كتبت كلمة : مذنب ، أو بريء .. وكانت أصابعك العمياء تختار في عتمة جيبك ورقة ما .. ثم تفتحها ، وتقرأ ما فيها .. مذنب .. بريء .. تبعاً للصدفة العشوائية .. هكذا بلا منطق ولا تبرير .. انه ظلم .

وستمعن ابتساماً وصمتاً ...

ثم ، الضربة الأخيرة : وشاهد الاثبات هو زوجتك !... ربما ، حينئذ فقط سيسقط اللجام عن فمك ، وربما ستصرخ في وجوههم كما صرخت في وجهي تلك الليلة الرهيبة منذ عام ...

... (كانت أيضاً تمطر ، ولكن بشراسة .

كنت لا أزال أحبك . أعجز عن النوم إذ لم أخف وجهي في صدرك .

كنت لا أزال اؤمن بأن في قاع بحار صمتك كنوزاً نادرة .

Akhawia.net

ضوء مكتبتك كان ينزلق تحت بابها المغلق ..

عارية القدمين تسللت اليك . قررت أن أعاجلك بقبلة على عنقك من الخلف اجرك بها إلى السرير .

ببطء أخرس كنت أتحرك وراءك . وقفت ، وقبل أن أنحني بقبلتي ، صعقني المشهد ..

فعلى المنضدة كانت هنالك عشرات من قصاصات الأوراق ، وعلى كل منها لا شيء سوى كلمة « مذنب » أو كلمة « بريئ ». أما المصنف الأسود الذي جئت به معك وقلت انك سوف تدرسه فكان على الأرض ، تحت قدميك !..

شهقت . وحينما التفت إلي ، ورأيت وجهك ، وتعبيره المرعب فهمت كل شيء .. في ثانية ، بسرعة التماع البرق أدركت كل شيء ... ظل وجهك متقلص الملامح ، يتفصد عرقاً .. إذن هذا ما يخفيه صمتك ؟.. لتقتل ، ظللت محافظاً على منصبك كقاض ، رغم نجاحك الكبير في البوزصة ، ومن خلف ستار .. اقتربت بوجهك مني ، تذكرت الوجوه التي وصفها دانتي في جحيمه .. خفت .. أردت أن أهرب ... أمسكت بيدي وسمرتني .. عبثاً تملصت . أحسست انني بطريقة ما محكوم علي بالموت ، ولكنك لن تجرؤ على تنفيذ الحكم بنفسك ..

— لن تجرؤ

— يا غبية

— لن تجرؤ .. هذه جريمة تخلف دماً وجثة ..

— يا غبية

— وليست باسم العدالة ..

Akhawia.net

– يا غبية

– ولا تتقاضى لارتكابها راتباً .

– يا غبية .. الأمر أشد فظاعة .. أشد فظاعة ..

– المفروض انك تمثل عدالة الالهة ..

– انني أطبّقها على طريقتهم .. حاولي أن تفهمي

– هذا إلحاد . ما ذنب الالهة ؟

– اني أقلدهم ، باخلاص !

– وتسلم مصير الناس لعشوائية الصدفة ؟..

– الصدفة إلـه العالم ...

– أنت مجنون

– وأنت غبية .. ما تزال اللعبة تنطلي عليك ..

وأقنعت نفسي بأن اللعبة لم تعد تنطلي علي .. ان علي أن أصنع شيئاً أنقذ به مُثلي ، وآلاف المتهمين الذين تقرر الصدفة مصيرهم ... لكنني حينما أمر بفزاع الطيور في الحديقة ، كنت أدرك في ألم بالغ انني ربما أفعل ذلك كله لأن زوجي لا يحدثني ... ولأن حياتي صارت صحراء خاوية من الصمت الميت ، فإن جثة اندبها ، خير من فرحة لن تجيء !..

الهاتف . ربما كان الطبيب ، ربما يحمل إلي بشرى ما .. أظل جامدة .. لن أتحرك ، أخشى أن يكونوا « هم » الـذين « ينتظرونه » .. الخادمة « تفاحة » تدفع بطنها المنتفخ أمامهـا متدحرجة في الردهة . ترفع السماعة . تتمتم . تتقدم نحوي وهي تحمل الهاتف بإحدى يديها . كم هي بشعة ، بشعة ، بهذا الوجه الميت الذي يعبر عن لا شيء ، خطوات ثور حراثة .. وهذا البطن الذي ظللت أرقبه يكبر يوماً بعد يوم وينتفخ ، كيف

Akhawia.net

لا تتمزق عضلاته ويسقط إلى الأرض ويتحطم ما بداخله .. كيف استطاع أي رجل في العالم أن يضاجع بهيميتها ؟ كم هم مقرفون .. أمقتها ، يمزقني أن أتصور أن داخل الثياب الرثة المحيطة بترهلها طفل صغير !.. وهي تملكه ، وأنا لا أستطيع بكل ما أمتلكه ، وبكل الرجال الذين يتابعونني بجوع ، لا أستطيع أن أمتلك شيئاً كهذا !..

دقائق ، وأترك السماعة تسقط من يدي ...

إذن لن يكون لي طفل أبداً !... لن لن لن ..

هكذا بلغني الطبيب الآن ... حكماً قاطعاً غير قابل التمييز أو النقض ..

لماذا ؟ لا يدري ... لا أحد يدري ...

لماذا ؟...

فوق غيمة مشدودة إلى أفق معتم أرى مئات الأوراق التي سبق ورأيتها على منضدة زوجي ... مذنب .. بريء .. عاقر .. تنجب .. مذنب .. بريء .. عاقر .. تنجب .. ثم أصابع شيطانية عابثة ، تلتقط ورقة ما ... ثم يقول الطبيب : آسف .. عاقر ... وعلى الوسادة كانت القطة تضعهم دفعة واحدة ، خمسة أطفال ...

عاقر .. ربما كان لفزاع الطيور أطفال مثله ولكنهم يكرهون الصمت ، لذا يرحلون مع أغاني طيور الحقول ..

تمطر تمطر ...

تمطر أنيناً خافتاً يتعالى شيئاً فشيئاً ... يتحد مع نواح القطة في الحديقة ... ونحن ثلاثة من فزاعي الطيور ، كل منهم مغروس بعيداً عن الآخر بلا حوار ولا لقاء .. من يئن ؟...

Akhawia.net

يدخل من الشرفة . لا يبدو عليه انه يسمع أي صوت غير عادي .. يقول انه ذاهب ولن يتأخر .

كعادته لا يسمع أي أنين . يمضي ، وأرى أوراقاً ممزقة تتطاير تحت قدميه « مذنب » « بريء » « مذنب » « بريء » ...

وحيدة في الدار ...

الأنين يتعالى .. من أين ؟... اني واهمة ... لا أحد في الفيلا المنعزلة سواي ، والخادمة ... وبيروت لم تشتعل الليلة في ركن النافذة ضوءاً بعد الآخر ... حوت الضباب ابتلعها .. ربما كان فزاع الطيور ينتحب ... تراه يحزن ؟.. يغضب ؟... يكره ، يثور ؟.. تراه يتحدث إلى زوجي « نجم » ؟... يتسلل كل ليلة إلى المكتبة بساقيه القصبيتين فيجالسه ويمزقان الاوراق معاً ويكتبان « مذنب » « بريء » ... لماذا لا يتزوج الزجال الصامتون من فزاعي الطيور ؟... لماذا يحكم علي بلا مبرر أن أسقط في الصمت ، ولن يملأ المكان طفل يصرخ محتجاً ، يمزق القناع عن وجه نجم ؟..

تمطر تمطر ...

والانين يستحيل صرخات متقطعة .. ربما كان أطفالي في اللوحات جياعاً .. حتى اليوم لم أجد الوسيلة التي أطعمهم بها .. ربما كانوا بحاجة إلى النزهة ، وإلى اللعب ... أطفالي سجناء اللوحات ، لماذا لا تطلق الآلهة سراحهم ليتدفقوا إلى العالم من جوفي ، ومن بطني ..

تمطر صراخاً ...

من يصرخ هكذا ؟... ربما كان الجسد في اللوحة التي لم أرسم وجهها بعد يحتج ...

Akhawia.net

اركض إلى مرسمي . اضيء النور . لا شيء ، لا أحد سوى أطفالي العشرين مدقوقين إلى الجدران ... واللوحة التي لما تنته بعد تنتظر وجهاً ... النافذة مفتوحة .. والوسادة التي كانت القطة تضع أطفالها ... لا أجرؤ على الاقتراب من النافذة ... يخيل إلي ، ان خلفها في العتمة خمسة وجوه صغيرة لقطط أنيابها مدببة ، ولو أطللت براسي منها لغرستْ في وجهي اظافرها ومزقته ..

أهرب ..

لا تزال تمطر صراخاً ... الصوت ينبعث من هناك .. صوت يناديني أيضاً .. لست واهمة ... أكره ليلة الأحد حينما يذهب الخدم جميعاً .. «تفاحة» وحدها لم اعطها اجازة منذ رأيت بطنها يكبر .. أكرهها ، وأحقد على صبرها في تحمل تغذيبي . أريد أن تظل هنا ، لا أدري لماذا أحب أن أرهقها ، أراها تلهث تعباً ، تمسح عرقها الكريه الرائحة ، تتحرك كحيوان أبله ، وعبثاً أقنع نفسي ان في بطنها ماعزاً أو جروا أو فئراناً ...

المطبخ . ليست في المطبخ ..

غرفتها الحقيرة . ممددة على ظهرها فوق الفراش . يداها فوق بطنها الكبير . صامتة ، وعضلات وجهها لا تزال متقلصة بتأثير ألم لم أره قط يرتسم في ملامحها من قبل . وجهها مؤثر ومهيب !...

إلى جانبها السنارتان اللتان طالما شاهدتها تعمل بهما ، وتنسج ثوباً بعد الآخر ... وكنت أرى أيديَ غضة لأطفال صغار تخرج من ثقوبها التي لما تكتمل بعد ، وتنمو يوماً بعد يوم مع الحياكة

Akhawia.net

المستمرة ... أحس برغبة مجنونة في أن أغرس السنانير في بطنها ، أغرسها حتى تمزق أحشاءها وما فيها ... لماذا تصرخ ؟ السنانير ما زالت في موضعها . تفتح عينيها ، لثانية ، يلتمع فيهما انتصار انثوي مخيف ... انها تتحداني .. ثم تغرقان في عتمة ألم يرتسم في وجهها ممتزجاً بلذة عجيبة ... ألم راهبة تغتصب ، ويعذبها استمتاعها بذلك !...

تتمتم متوسلة .. تريد طبيباً ...

لماذا ؟ لماذا يحضر الطبيب من أجلها لا من أجلي ... والطفل لها وليس لي ؟...

شيء أسود يفور في أعماقي ، يمتزج بانتحابها ... فقاعات سود تنعقد ، تعلو ، تتدفق من حلقي ، من عيني ، من مسامي ، فقاعات سود من حامض كاو تغرق كل شيء ... كل شيء يهتريء يحترق ، أريد أن يهتريء كل شيء ، ان يحترق ، أريد أن أحتج ، أن أتمرد ، أن أغرق كل ما حولي بدمار حقيقي عابث ... لماذا .. لماذا .. ؟ من .. من ..؟ كيف .. ؟ متى ..؟ من .. من أصدر هذا الحكم علي ؟ لماذا أنا لن أتمدد قط على السرير ثم أنهض وعلى ذراعي طفل ؟.. لماذا لن أحس داخل بطني بدبيب أقدام صغيرة ، وجسد طفل يتقلب داخلي فأهب من نومي أتحسسه ريثما يملأ صراخه الدار ...

اظل أرقبها بوجه ميت .. أرقب الفقاعات السود تتدفق من عيني وتغرقها ... لماذا ، من ، من ، من يعبث بالاوراق ثم يبعثرها في الريح ، وتحملها عشوائية الصدف « عاقر » « غير عاقر » ؟ ما ذنب « نجم » ان كان قد فهم سريعاً ؟.. ما ذنبه ان كان مؤمناً بالحاده ، مخلصاً لفجيعته ؟

Akhawia.net

يا انا ..

تمطر تمطر خلف النافذة ... تراها تمطر أيضاً في بيروت ؟. لماذا لا تمطر في كل مكان في وقت واحد ؟...

من يوزع المطر والاطفال ؟.. من جعل من الصدفة عدالة ؟ تمطر تمطر

والخادمة تصرخ متوسلة ... منذ أسبوع وهي تتوسل من أجل اجازة .. اذن كانت تدري ...

أظل متحجرة ، أتفجر حقداً أسود ... بالفقاعات السود سوف أطمرها ... أهيلها عليها أتربة قبر تخنق صرخات الطفل داخلها ... ألمها يثير شيئاً يشبه الغيرة ، شيئاً أشد مرارة وأكثر وخزاً وبؤساً .. تصمت .

تروح في شبه اغماءة . أحس بحاجة إلى أن أرسم طفلاً !.. فلتضع طفلها وحدها . لا دخل لي في الأمر ... سأذهب أنا أيضاً إلى مرسمي وأضع طفلاً جديداً ... سأتم اللوحة . أمر بالهاتف وأتجنبه . من جديد يتعالى صراخها . يستحيل عويلاً ...

فلتصرخ ... لن يسمعها أحد في دارنا النائية في « البرزة » .. فلتمت ، وان استطاعت الولادة كما فعلت القطة ، لن أجرؤ على أن أرمي به من النافذة .. لن أجرؤ ، لأنني منذ تلك الليلة لم أعد أرى في وجوه أطفالي في اللوحات نظرات المحبة والالفة التي كانوا يغمرونني بها . صاروا يتجهمون في وجهي ولا ينشدون في الليل ... صاروا يكرهونني ويخافونني ... سألد الآن طفلاً جديداً ، أسكبه في لوحتي وأتخلص منهم جميعاً ...

صراخها يثير في أعماقي عويلاً مشابهاً ... عويلاً من الفقاعات

Akhawia.net

السود ، تياراً جياشاً من صخب ارعن متوتر كاو ... اني بحاجة لأن أرسم ... يدي تركض أمامي ... تجرني إلى المرسم ... أنا أسيرة يدي ... التيار الاسود يحرك يدي .. صراخها يثيره .. عاجزة عن السيطرة على أية عضلة في جسدي . يدي ترسم وحدها مجنونة هوجاء ، في الخارج تمطر بوحشية ، صراخها انتحاب ملاح مطروح على الشط تأكله « السلاطعين » .. يدي ترسم وحدها ، مجنونة هوجاء ...

تمطر بوحشية ... الرعد حقل الغام في الاعلى تفجره أقدام شيطانية .. البرق .. خائفة .. تصرخ .. خائفة .. خائفة ... شيء ما يقبع فوق عنقي من الخلف ... أظافر قطط شرسة أحسها تمزق لحمي .. خائفة ... في الحقل ملايين من فزاعي الطيور يركضون وقد حملوا المشاعل في موكب احتفالي مخيف .. والرعد حقل الغام لا حصر لها ... والبرق يتناوب الالتهاب على اطفال الجدار ... ارسم .. أريد أن أرسم طفلاً .. لا أدري ماذا أرسم ... وفزاعي الطيور يتجهون نحو النافذة ... والتيار الكهربائي انقطع .. وأطفال لوحاتي يكبرون بسرعة والبرق يحصد الوجوه ذات العيون المفقوءة...تتجمد وجوههم وتسقط أسنانهم على الأرض ويبيض شعرهم وينوحون ثم يستحيلون فزاعي طيور جدداً يقفزون من اللوحات ومن النافذة المفتوحة وينضمون إلى الجمع الهازج تحت النافذة ... الحركة المرعبة في صرخاتهم النائحة الهازجة ، والريح تضرب النافذة ، أريد أن أهرب لا أستطيع . يدي تقيدني إلى اللوحة فأرسم وأرسم وأعجز عن الهرب .. التيار الكهربائي عاد يضيء . عاجزة عن الهرب . ثم فجأة ،

صرخة واحدة تدوي عند باب الغرفة .

Akhawia.net

المرأة الأخرى ، وخيط الدماء خلفها .

ويهدأ صراخ الموكب في الأسفل . أحس ان ملايين من فزاعي الطيور يتلصصون الآن من النوافذ بأعينهم المفقوءة صامتين في شيء من الخشوع الخجل ... المرأة الأخرى تتحامل على نفسها ، تدخل وتسقط فوق المقعد ، والوسادة نفسها التي وضعت عليها القطة الأخرى خمسة أطفال ... تراها هي أيضاً سوف تنجب خمسة أطفال ...

أراها كبيرة كبيرة ، عملاقة ضخمة ، في عينيها تحد آمر ، قوة خلق مذهلة لا تفسر ، وألم جميل مشع مرير ...

من جديد أعي الأشياء ...

هدوء مفجع قاس يغمرني ...

تريد طبيباً ، وإلا ماتت ...

وأنا الحاكم المطلق ...

عبثاً أتذكر مُثلي ، عبثاً أوقظ في نفسي عالمي الحلو القديم ، عبثاً أبحث عن وجهي الذي كان ...

في اللوحة التي رسمت دون أن أعي ، أجد وجهاً غريباً ... مزيجاً من وجهي ووجه نجم !... مزيجاً من القسوة والفجيعة حتى اللامبالاة ... ثم يخيل إلي ان اللوحة مرآة ... ابتسم فيبتسم الوجه في اللوحة ... أحرك شفتي فيحرك الوجه شفتيه ...

تعود إلى الانين الذي يستحيل صراخاً ... بماذا سأحكم ؟.. صقيع القسوة المفجعة يغمرني ... يتحجر داخلي ... الأصوات كلها تموت عند عتبة عالمي بهدوء حقيقي ، أخرج إلى غرفة مكتبة زوجي . أجلس حيث كان يجلس . أخرج ورقة بيضاء . أقطعها بعناية إلى قسمين . أكتب على الأولى « سأحضر الطبيب »

Akhawia.net

وأكتب على الثانية « لن أحضر الطبيب » . أطوي كل منهما . اضعهما في جيبي وأخلطهما ...

ثم أسحب واحدة منها .

أفتحها . وأقرأ « لن أحضر الطبيب » ... حكم قاطع لا يرد. لا أسمع أي صوت وأنا أدخل إلى غرفتي ... بهدوء وعناية أرتدي ثيابي . أحمل مفاتيح سيارتي . ولا أنسى أن أترك لزوجي ورقة كتبت فيها « أنا عند نورا ونيللي ... سوف نلعب البريدج مع بقية الشلة » .

تُرجمت هذه القصة إلى الايطالية والفرنسية والالمانية والانكليزية

Akhawia.net

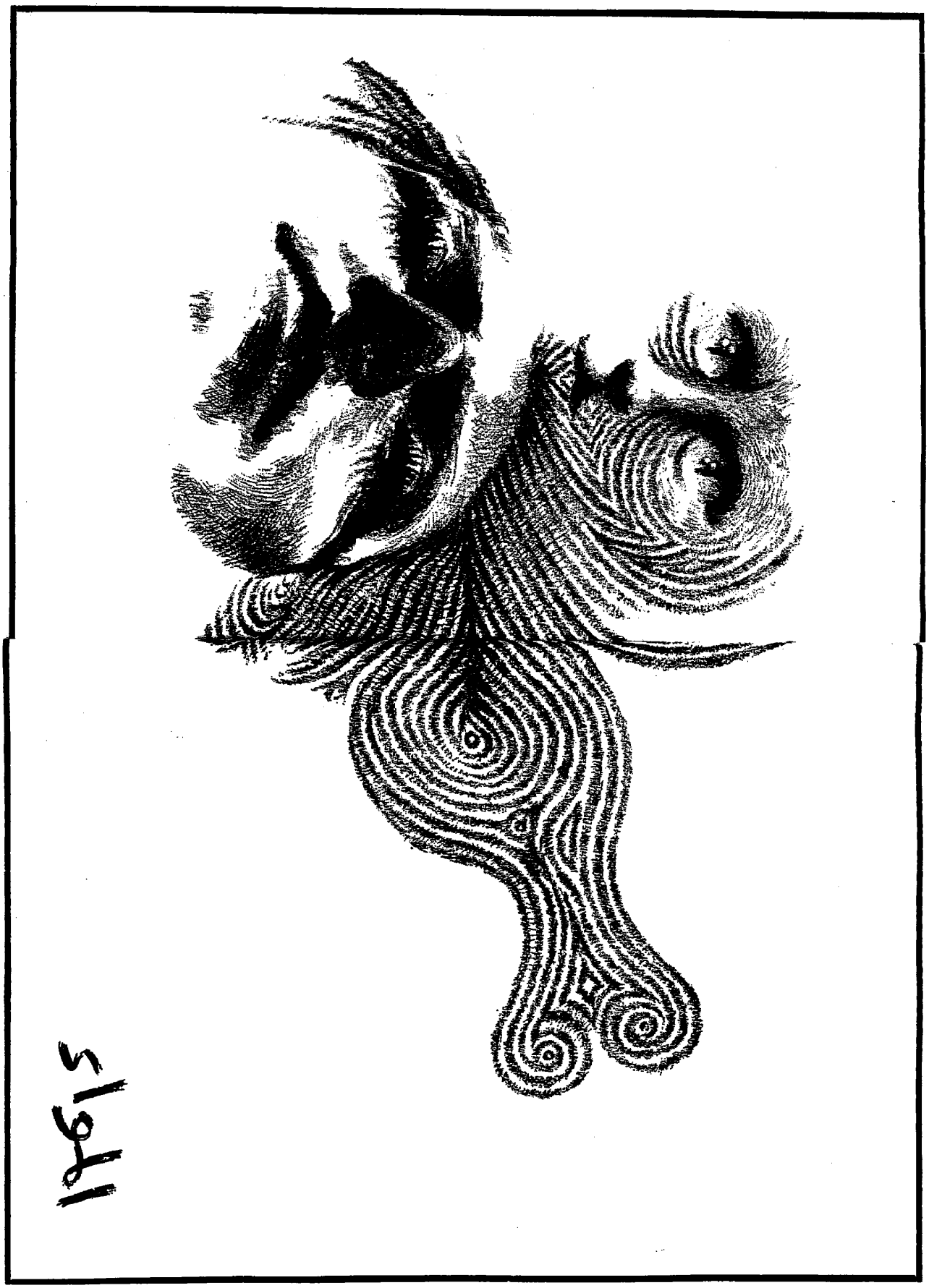

Akhawia.net

عاد المواء المتقطع . مواء مستمر مخنوق شاحب من هناك .

اقترب من النافذة وأطل على الهوة المظلمة : بئر من الجدران المكسوة بالهباب ، تقطعها بعض النوافذ المضيئة ، وأنابيب المياه والغاز السود ، وتبدو الاشياء بمجموعها كأحشاء بطن مفتوح .

الجدار المقابل لنافذتي مقصوص من أعلاه ، يطل خلفه شبح مرعب ، اكتشفت في النهار انه شجرة ضخمة ، ودهشت كيف يمكن لشجرة أن تعيش في وسط هذا الحي في لندن حيث يوحي كل ما حولي بالعقم !

عاد المواء مخنوقاً شاحباً ، وعاد الاختناق الدامي إلى حلقي . أحسست شيئاً ما في رقبتي يموء ، لاهثاً متململاً جريحاً ، مرافقاً لذلك الصوت الكئيب . ابتلع لعابي وأحاول أن أبتلع حنجرتي أيضاً .

التفت اليك مستنجدة . كنت وحدي في الغرفة .. منذ عشرة أيام وأنا التفت اليك ولا أجدك . لعلك الآن هناك ، بين جدران مرسمك العارية ، تستلقي تحت صدر العتمة في شرفتك العالية ، وفي الركن لوحة ما لم تتم بعد . ولا فرق بين أن تتم

Akhawia.net

أو لا تتم ، لأنك ستحطمها حينما تنتهي ، ككل لوحة رسمتها ، ستظل جدران مرسمك عارية وتظل شرفتك تطل من علٍ على المدينة كعيني نسر غامض !

ما زال المواء يختنق متقطعاً خافتاً لكنه مستمر ، فيه تحفز حيواني دافيء . إنه يشبه أنين لذة امرأة مكتومة الفم ، تغتصب عنوة .

أطل على الهوة . أعود لأتأمل النافذة العليا المواجهة لغرفتي ، نورها يسقط على الستائر الحمر المتباعدة قليلاً في المنتصف ، حيث يتألق شق طولاني من النور والستائر ترتجف بهدوء مع ريح لا أعرف من أين تهب وارتجافها البطيء يتواتر مع المواء الخافت المتقطع الذي لم يهدأ منذ عشرة أيام . يداخلني – ككل ليلة – ذلك الخوف المعتوه .

على بئر الجدران المكسوة بالهباب تتزلق نظراتي . النافذة الملاصقة لنافذة غرفتي ما زالت مطفأة . إذن لم يعودا بعدُ ، ولم يسقط ظل عناقهما على الجدار والانابيب المعراة للشمس والريح والظلمة كأحشاء بطن مفتوح . وأنا التي ظللت أتسكع في الشوارع وحيدة ، كي أعود ، بعد أن ينهكهما الحب ، فيناما ، لعلهما العاشقان الوحيدان في هذه القارة .

(أين أنت يا حازم الآن ؟ لعلك في بارك المفضل في شارع فينيقيا ، تشرب ويافا تحترق في كأسك ، أو في فراش امرأة ما ، يديها حنان يديك بينما عيناك تفيضان مللاً ولامبالاة ، ووجوماً أقرب إلى غربة النسور المترفعة ، منه إلى الحزن . ربما تناديها باسمي لأنك لم تسألها عن اسمها بعدُ ، وقد لا تسألها) .

Akhawia.net

بدأ المواء في الأعلى يشتد ، يتلاحق كأنفاس سجين هائج ، والنافذة قد انطفأت والستائر الحمر اسودت كلون دم متخثر ، لكنها ترتعش في بصيص من الضوء الخافت . شبح يتحرك خلف النافذة . إذن فقد أطفأت النور وعادت لتلتصق بالستائر وترقبني . الستائر تخفق كقلب مجرم يتأهب صاحبه ليغرس سكينه في جسد ضحيته ، تتماوج بتلاحق بطيء متوتر ، والمواء بـــدأ يتسارع ويعلو .

هذه الفتاة الغريبة الملتصقة بالستائر والليل ماذا تريد مني ؟

يوم وصولي التقيت بها للمرة الأولى على الدرج ولم أكن أدري انها تستأجر إحدى غرف هذا الجحر الكبير .. لفتت نظري بمظهرها الغريب : قامة طويلة نسبياً ، بنطلون يضيق على ساقين نحيلتين ، وردف لا استدارة فيه كأرداف الرجال ، وصدر أملس ووجه جميل التقاطيع غريبها ، وشعر أشقر قصير يغطي عنقها من الخلف ويكاد يمس ياقة قميصها ، ثم وجدتني أتأملها بدهشة وهي تكاد تأكلني بنظراتها ، وأصابعها تتشنج وتضغط شيئاً فشيئاً على قطة سيامية سوداء تحملها ، ونظراتهـا تخمش جلدي البني ، وأصابعها الدقيقة تتشنج بوحشية على القطة السيامية التي بدأت تموء ، ونظراتها تسقط في فتحة عنق ثوبي ، وأظافرها تنغرس في جسد القطة التي يستحيل مواؤها شهقات محمومة هاربة من شق في جدار جحيم . أحسست برغبة في أن أبصق .

إذن فهي ترقبني كعادتها ، ترهف أذنيها لصوت اغـلاق بابي حينما أخرج كي تقفز بسرعة على الدرج وتمر من بجانبي كأن لقاءنا تم صدفة فتفوح منها رائحة عرق بارد كريه . أية موجة رمت بي في هذا العالم الرهيب ؟ والمواء ، وأنـت ،

Akhawia.net

(**ترى أين أنت الآن يا حازم ؟**) وعشرات العيون مستديرة لا أهداب لها ولا جنس لها كعدسات آلات التصوير ترقبني من خلف ستائر متوترة الارتجاف ، تفيض بالسأم والملل والعقم ...

المواء يستحيل صراخاً متلاحقاً مشبوباً وستائر النافذة العليا تضطرب وتخفق ، وريح مجنونة تعبث بها . أنا مغمورة في برميل مملوء بالافاعي والعقارب الباردة (**أين يدك يا حازم ؟**) اهرع إلى نور غرفتي فأطفئه . استر هلعي بالظلام . أنا سلحفاة تأوي إلى صندوقها . لعلها الآن تهبط الدرج إلى بابي . صورتي مصلوبة في أحداقها الزرق : كيس نقود مدفون في حقيبة سفر ، جرذ آخر في الجحر الاسود الكبير حيث لا يجمعنا سوى درج خشبي واحد لولبي كأدراج القلاع القديمة التي تسكنها الأشباح .

اسمع الدرجات الخشبية تئن لوقع أقدام عليها . صوتها صرير أغطية توابيت تفتح وتغلق . الساعة على الجدار أمامي تسعل . حشرة تلسعني على رقبتي . سائل بارد ينحدر إلى شفتي ، (**أين صدرك يا حازم ؟ خبئني ! خبئني !**)

أنا وحيدة في جزيرة رعب : آلاف من الاجساد الرخوة تتسلق احشاء البئر وتقترب من نافذتي وتموء ، درجات الدرج تئن ...

المواء ينبعث من قاع اللهاث المتعب ، يا أنا ، قرع على الباب . اعض على حديد قفص ما ، قرع على البـاب ، (**هل أفتح الباب يا حازم ؟ وجهك مدفون في عنق طري أبيض وابتسامتك الساخرة تنفث القبلات**) . اقترب من الباب ، أضيء النور أهتف : « مين » ، ثم اسأل بالانكليزية : من ؟

Akhawia.net

صوت ناعم : هذه آنا ... دزدرا .. هل كنت نائمة ؟

بارتياح حقيقي استنشق ما تبقى من الهواء في الحجرة . إذن فهي دزدرا . الجارة الصديقة ، وليست فتاة النافذة العليا . افتح الباب . يصمت المواء ، تهدأ الستائر في الأعلى ، تدخل دزدرا . عادت بهالة السواد حول عينيها .

تتأملني : ما هذا الاصفرار في وجهك ؟ هل أنت مريضة ؟

– لا ... متعبة قليلاً ...

– هذا طبيعي ، حينما تسجني نفسك في غرفتك ... لم يخبرني أخوك قبل أن يرحل مع « تانيا » انك مجنونة ، تعشقين الانفراد . قال لي انك لعوب ، وانك ستلتهمين شباب لندن في وجبة واحدة !

إذن فتانيا اسم واحدة من اللواتي أتعثر بآثارهن في هـذه الغرفة العجيبة . غرفة طالب شرقي في سلة شقراوات . الثياب الداخلية المنسية تحت المكتبة ، تراها لها ؟ الفراش القذر الذي قضيت يوماً كاملاً في غسله ، هل يحمل آثار حذائها ؟

وأخي كان يتوضأ إذا لمحني في ثياب النوم !

دزدرا ما زالت تتحدث بسرعة ، وتتحرك بسرعة . تتحدث كما يركض الناس في هذا الجحيم حينما يقطعون الشارع ، حينما يحملون صينيات الطعام ، حينما يرقصون ، كأنهم شريط سينمائي يعرض على شاشة أمامي بسرعة غير اعتيادية ...

تنهرني وتصرخ بي : ها ... أين أنت ؟ ماذا دهاك ؟

– لا شيء يا دزدرا ... كنت أستمع إلى الكونشرتو الأولى لتشايكوفسكي . انها ترمي بي بين موجات النهر الصغير الطيب الذي اعتدت عليه . أنواء هذا المحيط الأهوج هنا تمزقني .

Akhawia.net

تنفجر ضاحكة : أيتها الشرقية المدللة ... لو اضعت وقتي في عالم أحلام تشايكوفسكي لمت جوعاً !

لو كان الرجال يتركون بصماتهم على الوجوه لكان وجه دزدرا مغطى بالجدري ، وحلقتا سواد تحت عينيها . ارتاح اليها على أية حال ، من خلال وجهها المتعب كسحابة خاثرة أطل على هذا العالم العجيب بشيء من المشاركة . لماذا جئت إلى هنا ؟

(ليلة رحيلي شددتني إلى صدرك .. وكنت استنشقك بجوع قديسة إلى الرجل ، أتخبط بنشوة في شباكك . أود أن لا أتحرر منها أبداً . همست : سوف أفتقدك ! وكان لصوتك رائحة أمسيات مبللة بالمطر . ووددت لو أبكي طويلاً لاستعيد طفولتي وأمني ، لكنني ظللت جامدة كما أنا دائماً حينما أتمزق . هربت الى الشرفة وكلماتك تصفعني : « انك لا تعرفن ماذا تريدين .. لا تعرفين ما تريدين » .

وقلت لك انني على الاقل « أعرف ما لا أريد » ،وضحكتَ : لماذا لا تخرجين قليلاً من صدفتك ، وتبحرين في المحيط حولك ؟ ستكونين أكثر قدرة على الامتزاج بما حولك ، والتعامل مع عالم الآخرين ويومئذ تقفين أمامي لأرسمك ، ما زلت عاجزاً عن رسمك ...

ـ لماذا ترسمني ؟ لتنتهي من اللوحة ثم تدمرها ، كي لا يبقى من قصتنا سوى فرشاة محطمة ، فوق أغطية فراش ملطخة بألوانك ؟ على أية حال سوف ارحل .)

القطة في أعماقي تموء . دزدرا تهزني : أين أنت ؟

ـ هذا المواء يا دزدرا يثير جنوني !

Akhawia.net

قلت لها ذلك وكنت أتمنى أن تعلق على كلامي وتوضح شيئاً من أمر فتاة النافذة العليا الغريبة وقطتها السيامية .

أجابت : اني استأنس بصوتها ... انه على أية حال أكثر عذوبة من صوت سقوط القنابل وصفارات الانذار !

— لا ريب في انك كنت صغيرة جداً يومئذ ..

— كنت كبيرة بما فيه الكفاية ، لافهم اننا كنا نجوع ليلة لا يشاركنا فراشنا الحقير شخص ثالث ..

— وأبوك ؟

— كان عليها أن تطعمه أيضاً ، وبيدها ، فقد عاد الينا من الحرب مشلولاً .

هذا العالم المثقل بتراث من الاحزان ، والمشاكل . مـــاذا سوى المواء يهربون اليه يذيبون في إلحاحه بؤس غربتهم . أمّا نحن هناك في مدننا الهادئة ، ما الذي يشوهنا ، يطلقنا في دروب الليل بلا منارات ولا مرافئ ؟

(وكان وجهك متعباً ، ويداك تزيحان صحناً فاخراً مـن الحلوى وضعه « الخرسون » للتو .

قلت لي : الريجيم ... أمرني طبيبي بمراعاة ريجيم خاص ..

ثم ضحكت بمرارة : في القارب المعتم منذ سبعة عشر عاماً كنت أرتعد برداً ويافا عند الأفق تحترق ، وكنت ارتعد جوعاً ولما ابتدأت أبكي لطمني أبي بيد واحدة والأخرى تنزف سائلاً بارداً على كتفي . وتمنيت أن أخفيك في صدري حناناً ، لكنني وجدتني أقول : يخيل إلي انك ستظل تمزق كل ما ترسمه حتى تعود إلى هناك وترسم لوحتك الأولى التي تبقى !)

دزدرا تهتف : لا وقت للحزن يا عزيزتي . سيصل شارلز

Akhawia.net

بعد نصف ساعة وعلي أن أستعد. لماذا لا تأتي معنا إلى مقهى «ماكابر» ؟ إنه مكان طريف يجب ألا تفوتك مشاهدته في لندن .

– ومن هو شارلز هذا ؟ ظننتك تخرجين من داني ، ولم ينقض على فراقكما يوم واحد . قد يتم الصلح بينكما ، فلماذا الآخر ؟

– شارلز زميلي في العمل وأنا معجبة به منذ زمن بعيد ، وقد دعوته اليوم إلى السهرة .

– أنت دعوته إلى السهرة ؟

– أجل ، وماذا في ذلك ؟

– هل تحبينه ؟ وهل يحبك ؟

– يحبني ؟ أنتن الشرقيات تتمسكن كثيراً بهذه المفاهيم التي تجاوزها عصرنا . الحب ؟ كيف ؟ ليس في غرفتي شرفة كشرفة جولييت أقف عليها في الليل . إنني أعمل ثماني ساعات وأتحمل أحياناً قبلات رئيسي ورائحة اسنانه الاصطناعية كي أحصل على ١٠ باوند في الاسبوع . أدفع ٦ باوند منها اجرة لغرفتي التي تطل نافذتها على هذا المنور الاسود . وإذا فرضنا انني استطعت الحصول على غرفة ذات شرفة ودفعت ١٥ باوند ايجاراً لها ، لما استطاع شارلز الوقوف تحت الشرفة والعزف على جيتاره ، لأن السيارات المجنونة سوف تكنسه ، وإذا وقف على الرصيف فسوف تطحنه اقدام المارة الراكضين خلف آخر «اوتوبيس» في الليل ، لأنه إذا فاتهم سيكون عليهم أن يقطعوا المسافة ركضاً فيما لا يقل عن ساعات ثلاث ، أو يدفعوا اجرة تاكسي ويجوعوا في اليومين التاليين ...

Akhawia.net

تتحدث بسرعة وعيناها تلتمعان بجذل فأر اعتاد قذارة جحره وتتابع :

ـ أنتن الشرقيات لا تعرفن معنى الحياة الحقيقية : الجوع والرغبة والشهوة والملل والعقم ... كل ما يريده الرجل من امرأته هو أن تطبخ جيداً وتستحم جيداً .. انها نعمة على أية حال ترتعن فيها ...

عاد المواء طويلاً متقطعاً حزيناً ، كأنه ينبعث من بناء آخر ناء في الطرف الآخر من العالم ، **(ترى أين أنت الآن يا حازم ؟ أكثر من أية لحظة مضت اعرف معنى ان أختفي في صدرك ومع ذلك ما الفرق بين ان ارحل أو لا أرحل ، ما دمنا في رحيل دائم أحدنا عن الآخر ؟ والحبل الذي يشدنا لا ينقطع فيرمينا ، ولا نريد أن يقصر ، فيوحد بين كيانينا) .**

دزدرا تخرج وهي تقول برقة : سأقرع بابك قبل أن أذهب وأرجو أن ترافقينا إلى « ماكابر » .

ما زلت حائرة . هل أرافقهما أم لا ؟ لا أدري ماذا اريد (وأنت أيضاً يا حازم ، هل تعرف ماذا تريد ؟ لم تجب يومئذ . وسمعت في صمتك صوت تكسر أشياء تتحطم . انك سئمت كل شيء . لم تعد تبغي سوى أفيون تخدر به أيامك ، أو ... أو انك أقنعت نفسك بأنك سئمت لما اكتشفت ان الخيبة في آخر كل طريق ، وتسألني : وماذا بعد ؟.. وتركض كفرس أصيلة في السباق ، تقدمت كل من سواها لكنها تردد في سأم عند كل منعطف : وماذا بعد ؟ وماذا بعد ؟ هنالك خطأ ما في التخطيط لميدان السباق بأكمله) .

Akhawia.net

المواء لا يهدأ . لعلها عادت إلى نافذتها لترقبني . الساعة تكاد تشير إلى العاشرة والسماء لما تظلم بعد . هذا الليل المشوه كم اكرهه . هذا الليل المجهض ، أين الليل الحقيقي في شواطئ بيروت .. وأنت .. (والسيارة تشق صدر العتمة حتى وصلنا إلى الميناء وأشباح السفن في الليل تلتمع بأضوائها المتناثرة وتبدو البعيدة منها خيوطاً من نور .

قلت لي : هل رأيت الميناء في الليل ؟ ولم أجبك . لم أقل لك انني رأيت كل شيء قبل أن التقي بك . لكن كل شيء يبدو الآن جديداً ، كأن عالمك ما كان قط لسواك ، كأن الثلج الذي اندفه في دربك جديد ناصع لم تطأه قدم سواك من قبل ، ولن تبقى فيه سوى آثارك أنت من بعد . ومع ذلك صمت . كنت أعرف كم يمكن أن يضحكك مثل هذا الكلام ، فتتهمني من جديد بالانتماء إلى قرن مضى . وأنت ، إلى أي قرن تنتمي ؟ وحنانك الخارف الذي يشع من ومضات صغيرة ، من أسلوبك في رعايتي ، من اهتمامك ودفئك ؟) .

ضحكات على الدرج ... المواء الطويل صار وحشي العنف . لقد عادا .

لقد عادا إلى غرفتهما المجاورة ... الرعب نفسه ، الخوف نفسه . والمواء بدأ يتعالى من أعماقي حاراً مشبوباً ، أغلق فمي كي لا أسمعه ، لكنه يعلو ويعلو ويتدفق من مسامي ، من رقبتي، من عيني شبه المغمضتين .

يغلقان باب غرفتهما . ضحكاتهما تستحيل إلى غمغمات .. التصق بالجدار الخشبي الذي يفصل بين غرفتينا كما أفعل كل ليلة منذ ليال عشر . أخشى أن يسمعا ضربات قلبي كما أسمع

Akhawia.net

صوت اصطكاك عظامهما . حذاؤها يسقط على الأرض ثقيلاً . المواء يتلاحق بسرعة شرهاً مخنوقاً . اسمعهما يتنفسان كفحيح الحديد المحمى حينما يغمس في الماء البارد . المواء في داخلي يستحيل ندباً مريراً . صرخة طويلة ، ويصمت المواء ...

العرق البارد يتصبب عن الجدار الخشبي . أنا قنفذ وقفت أشواكه . عليّ أن أنتمي إلى هذا العالم ما دمت عاجزة عن العودة إلى القرن التاسع عشر . « ليلى » سئمت من مضاجعة اشعار « قيس » طيلة قرون ...

في الطريق قالت لي دزدرا وهي تلتصق بشارلز .: انتقي الليلة شاباً أشقر من شبان لندن حاولي أن تقضي معه وقتاً طيباً ! (**وقتاً طيباً ؟ ولكني عاجزة عن التمتع بصداقات القطارات . لا أستطيع أن أنسجم مع رجل لا أعرفه ، لا أستطيع أن أمنح جنساً مقطراً معزولاً عن مشاعري ، على أية حال سأحاول ، وقد أعود اليكَ امرأة أخرى**) .

في شارع سوهو ، مقهى « ماكابر » .

نهبط السلّم الحجري إلى المقهى .. صفير شبان مراهقين يقفون حوله . الفت الانظار بسمرتي . أوقظ المواء في غابة الرجال بين الرصيف وباب القبو .. ليتني ، الليلة ، أمزق الجدار الزجاجي ، وأنضمّ إلى العالم حولي ، (**ليلة ضممتني للمرة الأولى خنقني بكاء أخرس ، توسلت إلى آلهتي التي تتعرى أن تكون بلا جسد ، كي يموت العري من العالم**) .

ندفع رسم الدخول . يمسك شاب بيدي ، بينما يغمس ريشته في محلول ما ويمر بها على يدي . في النور البنفسجي يضيء

Akhawia.net

موضع ريشته . انها شارة الدخول ، شارة وطاويط المكان ، وأحسني واحدة من يعاسب الحقول ، مضيئة وخفيفة ، وأحس برغبة في الانطلاق ، في الخبث ، في اثارة سرب من الجراد يلاحق نوري الخافت ، والمواء بدأ يترنح ويتناغم بهدهدة لذيذة في داخلي .

لا أكاد أدخل حتى أجدني في مقبرة .. مقبرة من نوع عجيب !

المقاعد توابيت سود عتيقة . الأضواء الحمر الخافتة تنسكب من خلال عظام هياكل عظمية وظلال اضلاع القفص الصدري تقطع المكان بحديد قضبان لا محسوسة ، والكؤوس التي يشربون منها على التوابيت جماجم بشرية . وفي الوسط ، تحت هيكلين عظميين متعانقين ، علقا في السقف ، ترقص مجموعة يصعب عليّ تمييز شبانها من فتياتها . . **(هذا الجيل الجديد في لندن يرعبني ، لرجاله شعر طويل ، ونظرات مخنثة لا تطاق ... ما زال الرجل في بلادي صلداً ، يثير حنين فتاته إلى انسحاق كامل ... ما زال يعاملها على انه هو الرجل ... على أية حال لا مكان لمثل هذا في مدينة يموت من لا يعمل فيها) .**

نجلس إلى تابوث غادره أصحابه للتو . الموسيقى دقات مطارق مسعورة .. العناق ... رائحة الخمر ... في الحلبة زحام ثيران يتدافعون في مصعد معطل .

دزدرا وشارلز وقفا يرقصان . الزحام لا يتيح لهما مكاناً للحركة .. المواء يتعالى من كل مكان ، وحشياً طويلاً ، مترنح النبرات كأن ينبوعه هنا في هذه المقبرة .. مقبرة القرون الماضية

Akhawia.net

وقيم الأيام الغابرة .

هنا مدينة الحب الجديد ، الحب الطحلبي ، من يتمرد يستحيل جمجمة يشربون بها ... المواء في داخلي يكاد يطغى على كل شيء .. زعيق مفاجئ للحن أوتاره مشدودة متوترة كعروق جبين متألم . أمسح العرق عن جبيني ، وأعب للمرة الأولى في حياتي من الكأس التي وضعت أمامي . السائل مر ، أستطيب مرارته . أمسح العرق عن جبيني . شاب يطـأ على قدمي . ألمها عن الحلبة . دزدرا ترتمي فوق شارلز . يتكومان على تابوت مجاور ، يزاحمان زوجاً بشرياً ينضح عرقاً ومواء . يتبادلان القبلات بنهم واستخفاف وبالمادية نفسها التي يلتهمان بها أية وجبة طعام **(حينما تقبلني أرفض أن أصدق انك تستعمل الفم نفسه للحب وللأكل ، وأحسني أسقط في غيمة مضيئة كثيفة ومنعشة أستسلم لكهاربها ، لبروقها ورعودها ، أطفو عليها ثم أغرق إلى قاعها ، أتمسك بك بتشنج غريق في نهر مقدس ، واستسلم لك بلذة لحظة الموت ... لحظات لا تمنحها سوى شفتيك أنت ... أنت وحدك)** .

يستحيل المواء قهقهة . أعب من الكأس أمامي ، أسكب نارها المر دفعة واحدة .

— هل تسمحين بهذه الرقصة ؟

بصعوبة أسمعه .. أتأمله .. شاب نحيل طويل السالفين ، شفتاه منتفختان بجوع زنخ ...

في التابوت تحتي أحس أنين امرأة ما حنطت لأنها رفضت أن تعيش حياة ما فوق التابوت . لا مفر من الاختيار . ماذا

Akhawia.net

يدعم غبائي في وادي المواء هذا ، وذاتي المشتتة على طول قرنين من الزمن ؟ فلأرقص .

انهض . يتعالى المواء بوحشية . اهتز بتراث امرأة شرقية ، عاشت قروناً في الحريم تتعلم كيف تثير حينما تتحرك . أمامي يقفز كشيطان في وليمة البدائيين . أضرب الأرض بقدمي ، النور ينسكب مترنحاً من الجماجم .

من مسامي يتفجر العرق والنحيب والمرارة ، لكنني لن أهزم . لن أنسحب إلى التابوت . أتلوى ، أحاول أن أقطع قيوداً لا مرئية . أرقص ، أحاول أن أحطم جداراً ، أن أجتاز جسراً جثت من طرفه المغمور بالغمام ، واتجه إلى طرفه المغموس بالدم والمواء وقرع المطارق .

تنتهي الرقصة . أعود إلى التابوت وأجلس عليه ، يخيل إلي ان المرأة في داخله تقهقه ، تثير جنون موائي... وأحس بأنني أحقد عليها .. « جولييت » عصر الذرة ..

أراها خلال خشب التابوت . لها وجهي . لكنها تبكي ، وأنا هنا امرأة خرجت للتو من مصنع البشر الآليين ، وجاءت إلى مخزن الحب لتشتري علبة معبأة بالجنس ، تطهيها بسرعة وتلتهمها ، ثم تمسح آثار المائدة ، وينسى ما كان في أقل من ليلة

دزدرا تهزني : لماذا لا ترقصين ؟

ـ لم أعجب بأي شاب بعد لأدعوه إلى الرقص !

الليلة ، الآن ، سأدعو شاباً ما إلى الرقص ، ثم إلى العشاء وأذهب به إلى أفخر مطاعم المدينة . وإذا جاءت العجوز التي تبيع زهوراً للعشاق فسأبتاع له زهرة حمراء ، يزين بها شعره

Akhawia.net

الأشقر الطويل الناعم . وإذا أعجبني فسأرافقه إلى غرفتـه ، وأبقى معه فترة ما ، ثم أترك له على المنضدة قبل أن أمضي ورقة نقدية مناسبة . العلاقات الجديدة ليس فيها رجل وامرأة . فيها طرفان ... أي طرفين .

وفجأة أراها ، فتاة النافذة العليا . المواء يتشنج ، تراني . وتقترب مني ، رغم العتمة النسبية ، تتبينني كأنها تعرفني من رائحتي كأي حيوانين في الظلمة ...

دون أية كلمة تجلس على التابوت إلى جانبي . المواء يستحيل ضربات طبول . ايقاعات أجساد عارية مشدودة تؤدي رقصة بدائية عتيقة في غابة تتعالى من أركانها المعتمة صوت المواء .. ما الفرق بين هذه الفتاة وذلك الشاب الذي طلبني للرقص منذ لحظات ؟ **(ما الفرق وأنت يا حازم ، أنت وحدك تثير في نفسي احساسي بأنوثتي ، ومعك وحدك أستحيل امرأة ... أما الآن فلا جنس لي ، لا جنس لي على الاطلاق) .**

صامتتان . نصعد الدرج الخشبي . لا نتوقف أمام بـاب غرفتي ، نتجاوزها .. أمام باب غرفتها نتريث برهة ريثما تفتح الباب .

في مواء القطة نشوة فرح مكتومة . تضيء النور . غرفـة حقيرة كل ما فيها جائع : الجدران جائعة للطلاء والمقاعد للكساء وعلى المنضدة في الزاوية بقايا خبز وجبن لوليمة كانت منـذ البداية بقايا .

مواء القطة يتشنج ويعلو . الستائر ترتجف ، الفتاة الرجـل تسرح شعرها أمام مرآة فيها شرخ طولاني كبير يمزق وجهها

Akhawia.net

إلى شطرين .. لا أحس بأي خوف .

صمت كامل مشحون بالترقب ، حتى المواء في الداخل يصمت ، منضـــدة خشبية إلى جـــانبـي أستند عليهـا ، (**لا ريب في أنهم يتركون لها النقود هنا كل فجر**) علبة سجائر تخرج منها واحدة لها وأخرى لي ... تضع لفافتها بين شفتيهـا المهترئتين وتشعلها . تمسك بها في يدها وتقربها من الأخرى التي وضعتها في فمها لتشعلها . تلتحم السيجارتان عند طرفين متوهجين كالجمر . أجدني أتاملهما . أهذا كل شيء ؟.

وإذا رضيت بأن أعيش في مدينة تحولنا إلى سجائر متشابهة ، فهل أرضى بأن يكون هذا كل شيء ؟ مجرد لقاء الجمـــر بالجمر ، ريثما تنتهي السيجارة في دقائق !

أحس برغبة في أن أصفع شيئاً ما ، أكسر شيئاً ما ، يدي في جيوبي أبحث عن نقود . أترك لها على المنضدة عدة أوراق وعدداً من القطع الفضية . أفتح الباب وأخرج ، وأغلقه خلفي بعناية ويلاحقني صدى المواء من جديد .

تُرجمت هذه القصة إلى الفرنسية

Akhawia.net

Akhawia.net

كانت هنالك بقعة ضوء تتحرك على الجدران ، وعلى احجار الزقاق النائتة ، باحثة عن وجه ما باصرار عنيد ...

« حازم .. حازم اين أنت ؟ »

وكان صدى صوتي حاداً ملتاعاً ، يثير شفقتي ، ثم احتقاري !

« حازم ... يا حبيبي ! »

والبرد الرمادي تنفضه المصابيح المحتضرة ...

« حازم .. أين أنت ؟ »

والزقاق الطويل ، أتعثر بأحجاره النافرة ...

« حازم ، أين يدك ؟ »

والزقاق الطويل لم أدرِ كم سيصبح موحشاً ، إذا لم أجدك في انتظاري ، كعادتك عند الدرج العتيق .

« حازم ، غداً العيد ... اقرأ ؟ »

واشهر بيدي رسالة أبي لأعرضها عليك . ولكنني لا أجدك في ركنك ، ويغمرني احساس غامض مفجع بأنك لست هنا ، ولن تكون قط هنا ، فأشد على بقايا الرسالة بقسوة ...

Akhawia.net

وفجأة ...

تستحيل حروفها مفرقعات صغيرة من مفرقعات العيد ، تنفجر داخل يدي واحدة تلو الأخرى ...

« حازم ! »

وإذا بالزقاق ، الذي كان إلى ما قبل لحظات ، مسترخياً بأهله النيام كبطن متخم كسول ، يتفجر فجأة مع تفجرات الكلمات داخل يدي ، ويستحيل دنيا من الشرور المفاجئة ، يتوهج بنيران مجهولة المصدر ، مسعورة الشرر والزعيق ...

أبواب الجيران وأهل الزقاق تفتح ، وينسكب الناس من الاسطح أيضاً ومن المداخل وعلى أنابيب المياه ، يندفعون في موكب رهيب ، موكب عجيب مريض الثورة : ليس فيه ضحك أو بكاء أو نباح أو هتاف بالضبط ، فيه هذه الاشياء كلها مختلطة بلا ضابط ، أو منطق ، أو هدف .

مئات من الغارقين في ملابس تنكرية ، عجيبة التناقض ، والمسدسات تنطلق وحدها ، وكل شيء ، أسير لعنة وباء أسود ، رهيب الهذيان شرس التدمير ..

« حازم ! »

وهم يحملونك مع مجموعة أخرى من الرفاق إلى حيث لا أدري ...

والزقاق بوتقة من النيران والفوضى والهياج تخضها يد مجهولة شريرة ..

« حازم ! »

واستحيل أرنباً صغيراً عبثاً يركض بين الجموع ، ويقرض الايدي والاقدام والرقاب ، ويسقط ، يقفز ، يتمزق ،

Akhawia.net

يركلونه ، يقفز ، وينوح عند الدرج العتيق ...

« حازم ! »

وفجأة ...

تموت الأصوات والألوان وكل شيء ..

جثة ليل عتيق تغطي ما كان زقاقاً ...

لا لون ، لا هبّة ريح ، لا بصيص ، لا ذكرى ، لا شيء .

وأنا أرنب صغير ، لا يدري لماذا يقفز ويشمشم الأرض ..

الأرض رماد !

وتحت كومة من الرماد أجدك مدفوناً حتى العنق ...

وتصحو الروائح والألوان والابعاد ، وتصير الأيام قطيعاً من الارامل يندبن أحبابهن الشجعان في موكب دامع الاناشيد.

« حازم ... لم أدر كم أحببتك حتى فقدتك ! »

لم أسمع صوتي ، وتذكرت انني صرت أرنباً صغيراً ، فوق الرماد الذي دفنت تحته . أعدو مسعورة ملهوفة .

عيناك ، كما أعرفهما ، تمطران غموضهما الساحر المحبب .

احفر التراب حول عنقك .

احفر نفقاً ، أتسلل منه إلى صدرك . ارخي بأذني الطويلتين سوف أغفو كعادتي هنا حيث أحب ، بين ابطك وصدرك ، ولكن ، هنالك ثقب ينزف منه الدم بوحشية .

ثقب ينزف منه الدم بوحشية هنا في صدرك ...

لم أعد أرنباً .

أنا نابان يقطران دماً وصراخاً : « حازم ! حازم ! »

Akhawia.net

يغمرك الرماد تماماً .

يعود كل شيء كما كان : الزقاق الطويل ، الصمت ، الأبواب المغلقة على الناس النيام ، والبرد الرمادي تنفضه المصابيح المحتضرة .

لم يبق إلا همسة غامضة المصدر ، تخفت حتى تموت ، تهتف باسمي : مادو ...

وبقعة ضوء تتحرك ببطء في ذلك المسرح الميت الحزين ...

وصرخة تمزق الهدوء الدامع من وقت إلى آخر : حازم ! حازم !

أفتح عيني وأنا ما زلت أصرخ « حازم » .

. . .

أحاول أن أخنق بقية الصرخة . أخي الواقف في الغرفة شبه المعتمة يتأملني بعينين خاليتين من أي تعبير . أمام مدفأة غاز صغيرة ، يتابع ارتداء ثيابه بسرعة وصمت ، ولكن بقايا وجه حازم الممزق — كما رأيته في ذلك الحلم المرعب — ما تزال عالقة بين أهدابي ، وهمسته « مادو » تطلق من نقطة واحدة في أعماقي آلاف الاسهم ، وفي كافة الاتجاهات تمزقني ، تفتتني .

لو خطر لأخي سليم أن يداعبني كعادته ويكشف الغطاء عني في هذا الصقيع ، ليستمتع بملحمة من شتائمي الوطنية المهداة اليه وإلى برد لندن ، لصعق ، ولرآني أنزف بسامي كلها ولهرب مذعوراً !

لكنه لم يكشف الغطاء ، وظللت مدفونة تحته مع خمس زجاجات معبأة بالماء الذي كان ساخناً .

Akhawia.net

يحمل أخي كتبه ، وفي وجهه تعبير يقول انه تأخر ثانية على موعد الدرس ، ومع ذلك يتلكأ أمام الباب . هنالك ما يود أن يقوله :

— لم ألاحظ أن خبر خروج حازم من السجن ، ووصوله إلى هنا للالتحاق بعمله في السفارة ، قد هزك هكذا !

— ...

— لم يبد على وجهك أي تأثر حينما أخبرنا « نادر » ان حازم يقاسمه مسكنه ، ريثما يجد شقة مناسبة ...

— ...

— ولم يبدُ الاسف على وجهك حين أخبرنا نادر ان حازم اعتذر عن مرافقة الاخوان والاخوات إلى دارنا الليلة ، للاحتفال بالعيد ...

— ...

— كنت تعرفينه جيداً ، أليس كذلك ؟

— ...

ماذا سوى أن أمعن صمتاً ؟!

(أجل ! عرفته جيداً كما لم يعرفه أي انسان . يا للفجيعة كم عرفته ، حتى استعبدتني تلك الومضات المضيئة في اطلالته على الأشياء !)

واستطرد أخي يقول : ثم انني لا أستطيع أن أفهم لماذا لم يتصل بك ، رغم انكما تعرضتما للموت معاً أكثر من مرة على ما سمعت .

(أجل ! ان لم تكن رابطة الحب والحياة ، فمن أجل رابطة الموت . ليلتها سمعنا الصفارة . التصقنا بالجدار الرطب

Akhawia.net

في الزقاق العتيق ، والقنبلة الموقوتة بين جسدينا تنبض ، ونحن نزداد التصاقاً كي لا نسقط إلى الأرض . ونزداد اندساساً في رحم الجدار الرطب اللزج .

ومروا بنا . كان لا يصدق انهم لم يرونا . ظننتهم يهزأون يمعنون تعذيباً ولكنهم لم يرونا فعلاً !

كان لجسده تلك المرة طعم الجدار الطحلبي الرطب . وقد انصرفت بسرعة أحمل التعليمات ، وكدت أصفعه لما قبلني ، أحسست قبلته جزءاً من المهمة ، وكفرت به لثانية . وحزنت من أجلنا ، فقد حولتنا « مهمتنا الانسانية » إلى حجارة شطرنج بلا عواطف انسانية . ها قد ماتت الشهوة . وماذا بعد !)

— حازم يعرف جيداً انك هنا .. ان ذلك لا يصدق . لقد تعمد نادر ان يروي له مطولاً عن سهراته في دارنا حيث يشاركني تحضير الدروس ، وتعمد أن يحدثه عن دورك الكئيب في أمسياتنا ، ان ذلك لا يصدق !

(وأنا أيضاً لا أستطيع أن أصدق أو أفهم منذ ذلك اليوم ، حين القمت آلة الاسطوانات قطعة نقدية جديدة في ذلك المقهى العتيق في لندن . وربما للمرة العاشرة ، علا أنين المطرب « هجرت مدينتي ... هجرت شمسي ... هجرت سمائي الزرقاء ! »

تأفف بعض اللندنيين . حدّقوا في وجهي باستنكار . أخفيته تحت نظارتين سوداوين كبيرتين ، وأشحت به عن مشهد الدموع التي كانت تغافل عيون بعض الغرباء ، المحروقي البشرة ، الذين هجروا مدينتهم لسبب أو لآخر . ولمدنهم شمس وسماء زرقاء ، وليست كهذا الجحيم ...

Akhawia.net

فتح نادر الباب يومئذ ، ودخل يلهث فقلت له :

ـ أين أخي ؟ لماذا جئت وحدك يا نادر ؟

ـ خبر لا يصدق .. حازم وصل !

خشيت أن أصدق فأموت .

ـ هو هنا منذ أيام ثلاثة !

خشيت أن أصدق فأموت .

ـ كان معي منذ لحظات . سوف يقاسمني مسكني . وقد أخبرته انك موجودة هنا ، في مقهى « التوسكانا » .

لن أصدق .

ـ ولكنه اعتذر لأمر هام ، وذهب !

خشيت أن يرى نادر في وجهي انني صدقت . لذا انطلقت راكضة في الزحام . وطيلة أسبوع ، كنت اندس في الزحام هاربة ، فرحة بالمطر الذي يجعل الوجوه جميعاً تبتل كوجهي ، لأنني أيقنت من ان حازم يتجنبني ... وأنا أيضاً لا أستطيع أن أفهم الآن أي شيء !

ليلة ذهب حازم ولم يعد ، عرفت انه في السجن . وكنا يومئذ معاً في مدينتنا .

ليلة غادرت مدينتي ، فهمت لماذا غادرت مدينتي ...

والاشهر المريرة هنا في لندن والانتظار الوحش ، كل شيء كان مفجعاً وقاسياً . لكنه أيضاً كان واضحاً ، ومنطقياً . وفي نهاية النفق كانت ما تزال نقطة من نور هي اليقين ، هي الايمان القاطع النهائي بشيء اسمه قضية !

أما الآن وحازم هنا ، وحازم يتهرب مني دون أن يقول

Akhawia.net

كلمة واحدة . وهذه المقايضة الغامضة . الآن اختلط كل شيء وعمت الفوضى !)

وعاد أخي يقول : على أية حال ، حاولي ألا تفوتك سهرتنا الليلة . سيجلب كل منهم معه صنفاً من أطعمتنا يعده بيده ، واسطوانة ، وصورة ، وممنوع التكلم بالانكليزية ، بل بلغتنا العامية فقط . سنقضي عيدنا وكأننا في مدينتنا !

(وكان حازم يحب مدينتنا كما لم يحبها أي انسان .

وكانت أصابعه تكاد تنغرس في ذراعي ، وأنا أكاد انغرس في صدره ، والغروب يغرس حرابه في كل شارع وسطح وحقل ونحن نطل عليها من أحد المرتفعات .

كان يردد : أعبدها ! أعبدها !

ـ حازم .. أحس بأنني أملك العالم كله .. اني سعيدة !

ـ أحس بأنني جزء من العالم كله . ذلك ما يسعدني !

ـ أنا أملكه !

ـ أنا انتمي اليه ، وبذلك املكه !

ـ انا املكه !

ـ وأنا أفكر بآلاف الرجال على اكتاف آلاف المدن الأخرى ، وقد ضموا اليهم حبيباتهم كما أفعل الآن . ذلك الاحساس سوف يستعبدنا لتلك الأرض أبداً ..

ـ أنا أملكه !

ـ وأنا أحس بانتمائي إلى الملايين في ملايين المدن الأخرى . الاحاسيس المشتركة الصغيرة التي تربط كلا منهم إلى شوارعها ومدارسها وملاعبها وحاناتها ..

Akhawia.net

ـ أنا أملكه !

ـ ليست المشكلة أنا وأنت . المشكلة اننا نفقد وجهنا حينما تتسخ مدينتنا ، ونموت إذا تشوهت أو انتحرت ، اننا ندافع عن أطفالنا حينما ندافع عن قيمنا .. اننا ندافع عن أنانيتنا حينما نفتديها ..

ـ أنا املكه !

ـ أجل ، تملكينه يا عنيدة ... حازم تملكينه !

ثم شفتاه تنفثان الشهوة المخمورة . مهارته في الصمت أيضاً لا تجارى !)

ويقول أخي : هل سمعت مـا كنت أقوله ؟ مادو ... هل سمعتني ؟

ـ اجل ! اعني ، لا .. لا يا سليم آسفة !

ـ لا ألومك . باختصار ، ليس عليك اعـداد أي شيء للمساء . صاحبة البيت موجودة هنا ، تنظف الشقة . وسوف تتقاضى « باوند » كامل عن الساعة ، فاصرفيها بأسرع وقت . وأرجو ألا تتخلفي مساء كعادتك !

(دوماً أتخلف مساء ...

أكره أن أراهم ينهارون واحـداً بعد الآخر : سليم ونادر وعزيز وزهير و .. يتجاهلون المعنى الحقيقي لما يدور .

يشاركون بعضهم البعض في التستر على سقوطهم المفجع .

أكره المشهد المعتاد : أخي جالس إلى منضدته ونادر يشاركه حل مسألة ما ...

يقولان انهما انتهيا من الدراسة .

Akhawia.net

سليم يمسك بأوراقه ، عبثاً يحاول نظم قصيدته : « لأننا بلا مدينة .. »

منذ وصل إلى هنا وتشاغل بالدرس وهو يكتب ويمزق ..

صديقته ماغي ، فأر طيب أزرق العينين ، يتشاغل عنه بقرض كتب « ايان فلمنغ » ..

هي تقرأ ، وتشرب .

وهو يشرب ، ويكتب ، ويمزق ، ويمزق ...

ثم يفتح طرداً وصل مؤخراً فيه كل ما يصدر من نتاج يزوده به صديق وفي باستمرار ، وينكب على أوراقه من جديد ، يخط فصلاً جديداً في مؤلفه الذي يعده للطبع ، والذي ينقد فيه كل ما يصدر من نتاج .

يكتب النقد بخنجره ، كأنه ينتقم من قصيدته الحبيسة في جوفه . قصيدته التي يعرف كما أعرف . انها رائعة ...

يحزنه ان الحراء تبقى ، واللبوة تجهض !

ونادر مع شقراء جديدة ، المهم أن يكون شعرها طويلاً ، لأنه يقضي بقية السهرة يشرب . ويضفر شعرها كما تفعل الفلاحات في قريته !

وانا ... يا انا ...)

الراديو . فليتكلم أي صوت خارجي ويخمد ذلك الشريط المؤلم في داخلي . الراديو ، أمد يدي وأدير زره . رسالة أبي ما تزال بين أصابعي منذ الليلة الماضية ، لحظة استلمتها قبل أن أهرب بها إلى فراشي . الراديو ، لا أدري ماذا يقول . ولكن الرسالة تقول : « العيد ... »

ما العيد في دورنا وشوارعنا ؟

Akhawia.net

الليلة ، من يسقط في طنجرة السكر المغلي ؟

(أمام باب المطبخ ، وقف أبي واخوتي يضحكون بشدة ويشيرون إلي ، بينما سارعت أمي لانتشالي من طنجرة السكر المغلي (القطر) . وزادت ضحكاتهم وهم يشاهدون آثار زحفي على مفرش الحلويات الكبير ، حيث التهمت في طريقي فوقه نفقاً من الحلوى ، وكنت أقطر بالسكر دون أن أتخلى عن « البالون » في إحدى يدي ، لما اختطفني أبي منها وهو يقول : هاتها ، دعني آكلها !

ثم رفعني عالياً . وخلف الحص الخشبي استطعت أن أرى السوق المسقوفة ، مزينة ومضيئة تعج بالحركة والاصوات .

وكان صوت المؤذن يتدفق خلال مربعاتها الصغيرة مع دفء منعش ، وقهقهات اخوتي الذين لم يكونوا قد قتلوا بعد تملأ المكان لم يبق منهم إلا سليم ، ولم يعد يضحك !)

صاحبة الدار تقرع الباب . تدخل . وجهها أنف كبير أحمر ، وعينان بلا أهداب . قلت لها : بعد دقائق أغادر الغرفة وتستطيعين تنظيفها .

العيد ؟

عويل الريح . العاصفة . وصوت الراديو الرتيب الاخبار . قضية هامة . يجب أن أنصت . يقول : فييتنام ... مؤتمر ... حرب ... سلام ... يقول أشياء كثيرة عبثاً تشدني . صوته ازيز آلة رتيبة . فجأة أجدني انصت باهتمام .. المذيع قد عطس !

مسكين ! غداً تطالب الصحف باستئصال رئتيه ، وينكب جيش من العلماء الشقر ، يجرون ابحاثهم لاستئصال رئات المذيعين ؛

Akhawia.net

هذا بينما رئات الملايين من الغرباء تمتلىء دماً وشوقاً إلى رائحة بلدهم ، دون أن يفعلوا شيئاً من أجلهم ، وهم يدرون أو لا يدرون ، انهم بطريقة ما ساهموا في تمزيقها ...

إذا نجحت في المسابقة ، ورضوا باستخدامي كمذيعة في قسم الاذاعة العربية ، فسوف يكون علي أن أتعلم التنفس الغلصمي ، كالاسماك ، بلا رئة حتى لا أعطس . وسوف أقضي يومي في غرفة الاذاعة الزجاجية المملوءة بالماء ، كسمكة زينة في حوض معروض للبيع . وهذا أفضل مصير يمكن أن أحلم به لو بقيت هنا ...

أجل ! سأصبح واحدة منهم . آلة ، ولكن بلا وطن ...

وكل صباح ، كل صباح ، سأبدأ من هنا ...

وخلف النافذة التي كشفت ستائرها الرمادية ، أرى الفراغ الرمادي تأكله العاصفة ، والسماء رصيف ، وصف طويل من الناس انتظم بانتظار « الباص » كدمى واجهات المحلات العامة ، بلا حركة تذمر أو تأفف أو احتجاج .

من هنا سوف أبدأ إذا بقيت .

إذا بقيت سأصبح مثلهم . هل يمكن هذا ؟

الصق وجهي بزجاج النافذة مذعورة ، فقد رأيتني واقفة في الصف الطويل ، اقضم « سندويشة » أحملها باحدى يدي ، وفي اليد الأخرى أمسك باحدى الصحف اقرأ « صفحة الجرائم » وفي وجهي استسلام الأموات ولامبالاتها كوجه جارنا . الطبيب النازي الذي لا يعرف أحداً من أية مدينة جاء منذ أعوام بعيدة ...

أصرخ : « لا » . اضرب زجاج النافذة بيدي المغلقة على

Akhawia.net

الرسالة ، فينكسر . ولكن المنظر لا يتبدل .. الفراغ رمادي ، والسماء صيف . و « الباص » قد وصل ، وهم يتدفقون إلى جوفه ، وأنا قد غبت في جوفه ...

دفء الدم الذي يتدفق من يدي لذيذ .

صاحبة الدار تطل برأسها من الباب . تتمتم وهي تتأمل لوح الزجاج المحطم : عشر شلنات !

كحردون ، تسحب رأسها بسرعة واسمعها تغمغم : اولئك الشرقيون ...

أنا فرحة بالنزف . فرحة بنبض الدم الذي يتفجر . كنت أظنني صرت جافة جافة مقددة حتى لو مددوني تحت أحد قطارات الانفاق لما حدث شيء ، ولظللت ورقة جريدة ، عتيقة جافة ممحوّة السطور !

. . .

أحمل يدي . أمضي بها إلى جارنا الطبيب ، ذي الوجه الميت المحنط بصلابته الصخرية ، والتي لا تعبر عن عمره ، أو أية خلجة في نفسه ، ان كانت له نفس .

أغادر بابنا نحوه ، لا يدهشني أن أرى صاحبة الدار تمسح آثار الدم عن الارض بقرف ، ثم تنظر إلى ساعتها !

. . .

الرسالة لا تزال داخل يدي . ويدي لا تزال تنزف . بها أقرع الباب . تسقط الرسالة إلى الأرض والدم يغطيها . انفجر ضاحكة . اضحك بشراهة . يا له من مشهد « رومانتيكي » تافه ، يصلح لفيلم فاشل ، ولجمهور مراهق : « الرسالة

Akhawia.net

الدامية » . شيء يثير القرف حقاً ، أهذه نهاية التماسك والنضال ؟

الطبيب خلف الباب المفتوح . الوجه الصلد المحنط نفسه . إذا بقيت هنا لا ريب في أن وجهي سيصبح كوجهه ، وسوف يتهامس الجيران ويحدسون باسم المدينة التي جئت منها ، وقصتي .

ظل جامداً خلف الباب ، وهمهم بطريقة فهمت منها انه يستنكر مجيء كلبه الضخم الرهيب خلفه أيضاً . أعرف انه لايحبني منذ أول لقاء لنا . كلاهما لا يحبني .

(منذ اليوم الأول عرفت لماذا اختار أخي البيت رقم ١٦٣ ، وست اندلين . فقد كان يقع تجاه بار «فرسان دون كيشوت » ، ولا يفصل بين الدار والبار إلا عدة أمتار .

كنت متعبة في ليلتي الأولى . خلفت أخي في البار . بكيت وأنا أسمع الحليد يتكسر تحت أقدامي ، وأنا أقطع أرض الشارع على الدرج الخشبي العتيق كنت أمسح دموعي لما شاهدتهما يهبطان : الكلب وصاحبه .

ولما حاذاني الكلب سمعته يهمهم . والكلب منذ طفولتي يخيفني أكثر من القنبلة الموقوتة وصفير الشرطة . خوف غريزي عفوي لا يفسر . وجدتني أصرخ ذعراً وأقفز بتوتر أعصابي كلها لأتمسك بصاحبه . كم كان حازم يطرب لهذا المشهد ويعلق ساخراً : المناضلة !

لكنه دفعني عنه بخشونة كأنني جرحته شخصياً حينما اعتبرت الكلب حيواناً يخيفني وقال باحتقار : انها لا تعض .. ولا تتحرش بالناس الذين لا تعرفهم !)

كلاهما — الطبيب والكلب — يتأمل الدم المتفجر من يدي ، كأنهما يرقبان نشرة أخبار مكررة في التلفزيون .

Akhawia.net

يسأل ، وبخشونة : ماذا تريدين ؟

الكلب يهمهم ، وبشراسة ..

تنصهر مدينتي في عيني دموعاً جافة تماماً . ما زال للدم هناك معناه . ربما هو معنى ذو حدين ، لكنه أفضل من هذا العدم .

ينصهر إحساسي بالألم ويفيض ، الدم يفقد معناه لدي أيضاً ، كالألم ...

يكرر : ماذا تريدين ؟ أنا في اجازة ...

قلت : جئت استعير ابرة لأنني اريد أن أخيط ثوباً !

. . .

إذا بقيت هنا ، إذا بقيت هنا ، هل يمكن أن أستحيل إلى شيء لا انساني كهذا ؟

إذا كان ذلك ممكناً ، أي عزاء ؟ إذن سوف يتوقف الألم ، ولن أحزن من أجل نفسي ، لأنني سأكون قد تبدلت ، وصرت مثله ..

إذا بقيت هنا ، سأكون مثله ، وسأرضى برجل مثله ، ولن أحلم برجال كحازم ، ما زالت في قلوبهم حرارة الصحراء ونزقها وطهارتها .

(لم أكن أقصد في تلك الليلة أن أهتف له ، فقد كنت أعرف انه في اجتماع عام كبير ، وانه رشح نفسه للقيادة ، وان المعركة محتدمة ضد بعض منافسيه المندسين بين الصفوف ، كعملاء لبعض الجهات التي يهمها تخريب تلك الصفوف ..

وددت أن أخاطب إحدى صديقاتي بالهاتف . ولكن أصابعي

Akhawia.net

أدارت بصورة عفوية القرص على ارقامه . فوجئت بصوته :
الو ... نعم !
– مَنْ ؟
– حازم !..
– آسفة ..
– أهلاً .. أهلاً بك .. منذ زمن طويل لم أسمع صوتك .. اني لفي شوق اليك !
قالها بحرارة ، كأنه ليس في أحرج لحظات المعركة ، بصدق وود ، كأن كل ما كان بيننا ، وكل ما لم يكن تدفق في صدره في تلك اللحظة ، رغم وعيه التام بعشرات الاسهم المسمومة ، المختبئة في الظلمة ، والتي تهدف الصدر الكبير نفسه ..
دقيقة ، كانت لها ابعاد اعوام من الغزل المنتظم المخطط له .. أحسسته في تلك اللحظة غالياً حقاً ، لأنه هكذا ، لأننا هكذا ، ما زالت لنا موجاتنا التي يبثها أحدنا ويلتقطها الآخر متجاوباً معها ، ورغم أحلك الانواء !)
إذا بقيت هنا ...
ماذا يتبقى مني ؟ ماذا تبقى حتى الآن ؟

. . .

اربط يدي بنفسي مستعينة بأسناني ...
الجروح تلتئم والجسد يستمر ، والدم النازف هو وحده الذي يضيع .. والجسد عاق !
اربط يدي بشدة . أحنو عليها . يتوقف النزف ، وما نزف

Akhawia.net

ضاع . لا أدري لماذا أرى شوارع مدينتي ، عروقها التي نزفتنا ذات ليلة !

لا أدري لماذا يغمرني يقين مرير بأن جروحها التأمت ، ودمها النازف تجدد ، وما نزف منها فقط ضاع . والمدينة كالجسد ، عاقة ...

والعيد مستمر ، العيد يبقى ، والأطفال فقط يتبدلون !

والدم النازف ، ما مصيره ؟

إذا بقيت هنا ، إذا بقيت هنا . ماذا سأكون ؟ ماذا سيتبقى مني ؟ ماذا تبقى مني حتى الآن ؟ ما أنا ؟

نحو المرآة أتحرك . خوف غامض ينمو في أحشائي له طعم الخطيئة ، كطفل نسيت اسم أبيه لأني كنت ثملة . نحو المرآة أظل أتقدم لأعاقب خوفي . أقف أمامها .

لا أرى أحداً في المرآة !

أرى الغرفة داخلها ، وفارغة لا أحد فيها !

أزداد اقتراباً .. ألاصقها . أبحث عن صورتي .. مـا أنا الآن ؟

أشهق . أرى وجه الطبيب فيها ، باهت الملامح شاحباً .

أراه خطوطاً اولية للوحة لما يتم رسمها بعد .

أحدّق فيه لأتأكد ، فيضمحل وتختفي خطوطه شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى من وجهه سوى بقعة ضوء مشوشة تزداد تركيزاً ووضوحاً وتصبح بقعة ضوء فارغة ...

أبتعد عن المرآة .. أتحرك في الغرفة ، من المقعد إلى المكتبة إلى النافذة ذات الستائر المسدلة ...

وفي المرآة ، أرى بقعة ضوء تتحرك في الغرفة ، من المقعد

Akhawia.net

إلى المكتبة إلى النافذة ذات الستائر المسدلة ...

(طيلة شهر ...

كلّ ليلة ، كنت أستسلم لبرد مقعد ما في الصالة ، أرقب المسرح بذهول لا أجد له تفسيراً ...

كانت المسرحية تدور كلها في جو شبه معتم ، الا من ضوء كشاف قوي ورفيع ، يخترق عتمة المسرح عموداً من نور وينصب على الاشياء والاشخاص بقعة من ضوء تتحرك على المسرح .

بصمت لا مبال عجيب ، تتسلق الوجوه ، الجدران ، يتبدل لونها أحياناً إلى أخضر رمادي حزين ، إلى أصفر أبله ، إلى أحمر دموي ، لكنها بعد ان تنسحب عن الاشياء لا تخلف عليها أثراً أو خدشاً . ولا تمتزج بها ، ولا تتبادل أي شيء معها ...

انها هناك ، وليست هناك ..

لا أدري ماذا فيها كان يشلني ، يأسرني ، يرعبني !)

أية فجيعة ان يكون العيد حقاً هناك ، في مدينتنا !

كأننا لم نتحرك في شوارعها وأزقتها ، وبيوتها مشاعل تستميت لتطهر ، ولو لزم الأمر أن تحرق .

كأننا ما كنا سوى بقع ضوء على مسرحها ، ولم يتغير شيء سوى المسرح .

لن أصدق ! سيقتلني أن أصدق ان الحقيقة الكبرى فوضى من الوحل الذي يغرق العالم !

. . .

Akhawia.net

العيد . الوحل . اليقين ، النزف ، الجسد يبقى ، كالمدينة .. يخونان النزف .

لا أدري لماذا أحس بحاجة لأن أنظف شيئاً ما ، ان أغسل شيئاً ما ، أي شيء ... الوحل ! الوحل !

أملم ملء حقيبة من ثيابي . سوف أغسلها للمرة الخامسة خلال هذا الاسبوع ، ودون أن أرتديها مرة واحدة !

. . .

ألقم الآلة قطعة النقود . يفتر ثغرها عن كوب من الصابون .

الآلة الأخرى أحشوها بالثياب : قطعة نقود . زر ، ويتفجر الماء . أسكب الصابون . زر آخر ، وتلوك الثياب .

كمن انتهى من دفن جثة ترهقه ، أتلفت حولي . الغرفة صغيرة ، وعلى جدرانها الثلاثة اصطفت آلات الغسيل . في الوسط مقعد خشبي طويل بلا مساند للانتظار . أتهاوى فوق خشبه الذي يذكرني بالاديرة .

صوت غريب مترنح الكلمات يخاطبني مشيراً إلى رباط يدي الذي صار دامياً : « يبدو أن يدك مصابة بالرشح أو التهاب الجيوب ! »

أنصب على وجهه بقعة من ضوء : وجه متعب لزنجي ، نبيل السواد ، حزين حتى الجريمة . رائحته تدل على انه سطا على مخزن للخمور وشرب كل ما فيه .

ـ هل تعرفين من أين أنا ؟

ـ طبعاً أعرف !

فقد سألني وهو يخرج من جيبه موسى صغيرة !

Akhawia.net

ـ هل تسخرين مني مثلهم ؟.. ألا تصدقين انني جئت من مكان مـا ، ولم أولد هنا في حجرة الغسيل ، أو حجـرتي الحقيرة ؟

أتماسك . أعرف انه ثمل ومتألم ، وانني لو كنت ثملة ، وحملت موسى ، لمـا قلت إلاّ كما قال . ولو طعنني لما كان يقتلني بالذات ، كان يقتل في شخصي كل هزء أو احتقار سبق ان لقيه من آخرين .

ـ طبعاً لا أسخر منك ، فأنا أعرف انك جئت من مدينتك!

ـ هذا رائع !

يستحيل طفلاً يبكي . ينوح كما تنوح الرياح في غـابات بلاده : أنا من افريقيا الشرقية .. هل تعرفين أين تقع افريقيا الشرقية ؟

ـ طبعاً ... افريقيا الشرقية .. أ .. افريقيا الشرقية ... تقع في شرقي افريقيا !

يقفز على قدميه ، ملوحاً بالموسى استحساناً . زبائن المكان تم تسربهم جميعاً إلى الخارج منذ بدأ حديثه (الودي) .. ينحني أمامي : عظيم ! انني سعيد بلقائك يا سيدتي !

وخلفه ، تنتصب قامة رجل البوليس العملاقة . تجره مـن يده . يستسلم لها بلا أية مقاومة أو تفكير ..

بصعوبة ، أتمالك نفسي ، كي لا ألحق به ، وأسأله بدوري: هل تعرف أين يقع بلدي ؟

. . .

وطنه ، وطني ، أي وطن ، وطن أي انسان !

Akhawia.net

لماذا ، لماذا يحدث هذا دوماً في كل مكان ؟

لماذا فجأة ، تختلط الاشياء والمفاهيم ، ويبدأ النزف المرير ؟ ماذا حدث هناك ؟

لماذا لم يتصل حازم ليقول — على الأقل — ماذا حدث ؟

هل هو غاضب ؟ هل هناك وشاية ؟ هل صار مثلهم ، يدين بلا محاكمة ، رغم اننا كافحنا ذات يوم كي لا يدان انسان بلا محاكمة ؟

لماذا ؟

أترك ثيابي للآلة . ما حاجة المشردين للاناقة إذا كانوا لايملكون داراً ؟

إني بحاجة إلى اليقين ...

حازم . أين حازم ؟.. أريد أن أعرف !

أنطلق في الشوارع بقعة ضوء ضالة ، بين آلات مصنع ضخم بارد . حازم ... أين حازم ؟

* * *

لا أدري كم من الوقت انقضى وأنا أسير هكذا ...

ليل لندن الاجرب يجثم على كل شيء ، ويخص صدري بثقله كله ...

كنت أعرف بيت نادر جيداً . ومع ذلك ، تهت طويلاً قبل أن أصل واضغط الجرس .

نادر الآن في بيتنا حيث يحتفلون ، إذا وجدت حازم فسيكون وحيداً .

Akhawia.net

ثانية أضغط الجرس . عبثاً أرفع جثة يدي عنه ، حتى يفتح الباب .

وحازم !

انه حازم !

أنا مئات من العيون ، أتأمله بها ، أعيه ، أدركه خلال ثوان ، وأتمنى لو أفقأها كلها واحدة بعد الأخرى ، وبيدي . أهذه بقايا العملاق ؟

يتقدمني ، وبلا مبالاة كسول : « أهلاً مادو ! » .

يتثاءب : « تفضلي » .

يسارع إلى كرسي : « لقد أيقظتني .. لماذا لم تضربي موعداً ! » يتثاءب من جديد .

اني عاجزة عن التصديق ...

أصرخ : حازم ! حازم !

وصدى صوتي حاد ملتاع يثير شفقتي ، ثم احتقاري .

أصرخ : حازم !

أتمنى أن أكون في حلم آخر . وان يوقظني صراخي كما حدث صباحاً !

لكنني لم أستيقظ . وحازم لا يزال يتأملني بسخرية ، وابتسامة مشلولة تمد أرجلها العنكبوتية على وجهه وتملأه بالخطوط النفرة المستهترة التعبير .

ـ أرجو ألا تصرخي هكذا . ستزعجين كلاب الجيران ، ثم انني موجود أمامك !

ـ أنت حازم ؟ أنت ؟

ـ أجل ! أنا ، وكما لم أكن أبداً !

Akhawia.net

ـ وحازم الذي عرفت !
ـ كان غراً ، مثلك !
ـ ثم ؟
ـ اكتشف الحقيقة الكبرى !
ـ أين ؟
ـ في السجن !
ـ ومدينتنا ، واليقين الذي كنا نعمل من أجله ؟
ـ مسكينة ، يبدو انك ترددين هذيان مراهقتي كما لو كانت قرآناً !
ـ ولكن ، حازم .. هل نسيت ؟
ـ لا ، لن أنسى كم كنت غبياً !
ـ حازم !
ـ شكراً للسجن ، ولغدر الاصدقاء !
ـ حازم !
ـ سأقول لك باختصار : اسمعي هذا الدرس الجديد ، واحفظيه وحده .
ـ حازم !
ـ ليس في الحياة حقيقة تستحق أن يموت الانسان لأجلها ...
ـ حازم !
ـ الوطن هراء ... أية دار دافئة مريحة أملكها هي وطني !
ـ حازم !
ـ والمبادئ ليحكم الاذكياء باسمها ، ويموت الأغبياء من أجلها !

Akhawia.net

ـ حازم !

ـ والشعب طفل غبي ، ينـادي أي سارق يختطف أمه : يا عمي !

ـ حازم !

ـ والتضحية مصير الخراف في أعياد الجلادين الجياع ...

ـ حازم ...

ـ والمدينة مومس بلا ذاكرة ولا قلب ، يمتلكها من يحتويها بين ساعديه !

ـ حازم ... و .. و ..

ـ وماذا تودين معرفته أيضاً ؟ اسألي !..

ـ حازم .. وحبنا ؟

سؤالي نكتة ؟ لا أدري لماذا ينفجر ضاحكاً برعونة .

ـ حبنا يا مادو .. انه أحد أغطية الفراش التي نستر بها عن أعيننا حقيقة ما يدور بيننا !

ـ حازم ...

ـ المشاركة اسطورة ... الانانية إلـه العالم . من أجل انانية مثاليتك ، أما كنت تفضلين ان تسمعي بمقتلي عن أن ترينـي هكذا ، وتسمعي ما سمعت ؟

ـ حازم !

ـ هل شاركني أحـد تلك الايام الـتي لا شمس فيهـا ولا خبز ؟.. هل سجنت معي ؟.. هل عرفت معنى أن تنبحي ألماً ، وتبصقي رئتيك قطعاً متعفنة ؟ هل .. هل ...

لم أعد أفهم ، لا أستطيع . آخر ما رأيته وأنا أنطلق هاربة أصابع يده التي يشير بها إليّ ...

Akhawia.net

وكانت متشنجة ، وبلا أظافر !

أركض ، أركض ، رغم انني واثقة من عجزه عن اللحاق بي بعكازه ، وفقراته المحطمة !

* * *

شقتنا سحابة من ضجيج ودخان وهذيان ، تتدفق على الدرج الخشبي ، تضرب وجهي وأنا أفتح الباب .

— لماذا تأخرت هكذا يا مادو .

كل ما في الغرفة ينوس مع اهتزازات صوت « سليم » المترنحة . هذا رائع . كلهم ثمل ، ولا حاجة للتمثيل !

— تأخرت لأنني جئت الآن !

— أهلاً ... لم تسمعي المقطع الأخير الذي نظمته الآن من قصيدتي ، « لأننا بلا مدينة » ... قالوا جميعاً انه كان رائعاً ...

وكانوا جميعاً رؤوساً تهتز . ترتمي على الوسائد وأكتاف الحبيبات ، والطعام على المائدة لم يمس ، وكل طبق مأساة ، استحضر صانعها خلال اعداده كل ما لديه من ذكريات ...

نادر ، بصعوبة يتحرك نحو « البيك اب » . يبدو انه يريد أن يقول شيئاً :

— كفى يا سليم ، دعنا نسمع النشيد الوطني !

يهذون ! أجل النشيد الوطني .

كمن يدفن طفلة الوليد ، بالحزن العميق الهادئ نفسه ، أراه يودع الاسطوانة في الآلة ، ويعبث بأزرارها ...

Akhawia.net

لحظات ، ويبدأ النشيد الذي وقفنا اطفالاً في « الباحات » نسمعه مع مطلع كل أسبوع . لحظات ، ويمد نادر يده بوحشية ومرارة ، يعبث بأحد أزرار الآلة . يغير سرعة دوران الاسطوانة . وهنا يستحيل النشيد مواء وزعيقاً وهذياناً ، جوقة « سيرك » أو تناحر قطط مسعورة ...

ينفجر ضاحكاً صارخاً : اشربوا نخب نشيد وطننا !

النشيد ، مواء وزعيق ، جوقة سيرك ، يرفعون صوت المذياع ، يشربون ضاحكين بمرارة مرعبة السقوط ، وتمزق حقيقي لا تعيه شقراواتهم ، ويخطئه على انه مرح شرقي خاص !

إلى الشارع أهرب !

أسمع وقع أقدامهم على الدرج ، وأعرف انهم تدفقوا جميعاً خلفي ..

* * *

إلى بار « فرسان دون كيشوت » ..

ندخل سحابة من ضجيج ودخان وهذيان مجروح ، نصطف على طول مائدة ، ونسقط فجأة في خندق من صمت . كل منا يسقط في خندق منفرد ، نتوقف عن الحوار . البعض يخاطبون أنفسهم لولا المائدة الواحدة لما حيّا أحدنا الآخر ساعة دخوله ...

لا أحس بأي شيء ...

منذ غادرت حازم وأنا لا أشعر بشيء أبداً . لا ألم ، لا فرح ، لا دهشة ، لا توق ، حتى ولا برد !

Akhawia.net

بقعة من ضوء ، انزلق على الأشياء ...

إلى جانبنا على منضدة قريبة يجلس الطبيب . وعلى مقعد ملاصق لمقعده تجلس كلبته . وكلاهما يعب من الشراب . يسكب لنفسه كأساً ولها كأساً ...

ووجهه الحجري الميت أحسه مألوفاً . إذا بقيت هنا ، سيطالعني هذا الوجه في المرآة كل يوم !

هذا رائع إذا كنا حقاً ننسى ، إذا ظل هذا الموت الممتع يغمر أعماقي .

يشربان بشراهة ، كلبته تفوقه ادماناً .

أحسستني كبقية أهل المكان ، لا شيء يثير دهشتي أو تساؤلي ،

حتى ولو نهض وقد تأبطت كلبته ذراعه ، وقدمها لي قائلاً مدموزيل أنيتا ، أقدم لك أخت جارنا سام ..

حتى ولو خلعت الكلبة قفازاً من « الساتان » ، وصافحتني قائلة : « تشرفنا يا مدموزيل » ، أو صفعتني ثائرة : « أرجو أن تخفضي صوت الراديو ليلاً لأنه يزعجني ! » — لما أدهشني شيء ...

أظل بقعة من نور انزلق على الأشياء . كلمة العيد تضحكني . مدينتي أحسها كذكرى حلم عتيق باهت في مخيلة رجل أعمال مشغول لولا ....

لو لم التفت في تلك اللحظة .

لو لم أر الطبيب ، خلف الزجاجات الفارغة المكدسة على طاولته ، يحمل كلبته بين ذراعيه ، يحتضنها . يضمها إلى صدره . يدفن وجهه في رقبتها ، ويبكي ، ويبكي ، يتحدث اليها بلغة

Akhawia.net

لا أفهمها . ربما هي لغته في مدينته التي جاء منها ، وهي تحنو عليه كما لا تفعل ممرضة في أية مستشفى هنا ، ويبكي بمرارة في صدرها ... وجسده ينتفض وجسدها يتجاوب لأحزانه .. يهدءان . من خلال عينيه المغمضتين في وجهه المستكين اليها ينحدر خيطان من الدموع ... أمسحها عن وجهي !

وأنا أغادر المكان ، اسمع نادر يصرخ في سليم هاذياً :

ـ أجل ! قد تشنق البيتلز في هايد بارك ، وقد تطلّق مرغريت زوجها من أجلك ، لكنك لن تكتب «لأننا بلا مدينة» !

يستقبلني برد الشارع . للمرة الأولى أفرح به ...

* * *

صفحات دليل الهاتف تتقلب بسرعة ...
بقعة ضوء ملهوفة أسقط بين صفحاتها ...
أول شركة طيران ادير رقمها .
أول طائرة إلى مدينتي ... لن أبقى هنا ... لن
وليكن ما يكون !

□ تُرجمت هذه القصة إلى الايطالية والبولونية.

Akhawia.net

Akhawia.net

خائفة

اني خائفة .

كل ما حولي يرتعد خوفاً .

السطور في مجلد الطب الكبير المفتوح أمامي ترتجف . عبثاً أثبّت نظراتي على الحروف ، التي يختبىء بعضها خلف الآخر .

النور المسلط على مكتبتي يصاب باغماء أصفر ، أصفر ، كأنياب سوف تنبت فجأة ، وتنقض عليّ من مكان ما ، لسبب أجهله كما تجهله هي أيضاً .. اني خائفة (يا فراس ... لو تدري) .

خائفة .

حتى الجمجمة الحسناء ، صديقتي الوحيدة فقدت مرحها . بريق السخرية في فجوتي عينيها خبا .. مغارتان للرعب الداكن أراهما أمامي ، وفكها الاسفل يرتجف . ربما في عنقها المقطوع صرخة ميتة .. الصرخة في حنجرتي تنطفئ في كوم رماد صدئ .

والريح .

Akhawia.net

توقفت عن العويل . ربما اختبأت في أحد المخابر . حتى المطر كفّ عن الهطول .

كل شيء يحبس أنفاسه في ترقب متوتر هلع . خائفة .. (يا فراس .. تراك كنت تدري ؟) ..

حتى موسيقى (البارتي) في قبو مسكننا الجامعي (البستاني هول) صار فيها ايقاعاً مشحوناً بالانتظار . صار في تسارعها ، وقرع طبولها ، تشنج يد معقوفة الاظافر ، تتحرك في الظلام، وتطبق على عنق ما .

خائفة (يا فراس ، أين يدك ؟) .. خائفة ، رائحة باردة الزرقة تملأ عيني بأبخرتها .. تتدفق من أشباح شجر الصنوبر خلف النافذة ... ربما كانت تتدفّق من حديقة الجامعة الغابة ، ربما كانت أنفاس المخلوقات السجينة في البناء الرابض في العتمة، المقابل لغرفتي في التل .. خائفة (يا فراس ، أين يـدك ؟.. ربما لم تحمني من الخوف ، ربما كانت تشاركني خوفي ، لكنني أحببتها) .

خائفة . قرع الطبول يتسارع . الضحكات التي تعلو من القبو تتحول إلى ما يشبه الصراخ .. إلى ما يشبه النباح .. الزرقة تتكاثف .. أسنان الجمجمة تصطك بتواتر متسارع . رغم عويل الموسيقى عادت الأصوات الرهيبة تتسرب من ذلك البناء الغامض المخيف ، عاد النحيب الممطوط الحزين ... (الليلة ، بعد أن ينمن جميعاً سأظل وحيدة أنصت دون أن أجرؤ على غرس سيخ في أذني ليتوقف كل شيء ، ما دام همسك منذ الليلة لم يعد لي .. ربما يتوقف حينئذ كل شيء آخر إلا تلك الشكوى المريرة الدامية .. ربمـا يسكن كل شيء إلاّ سيل الليـالي

Akhawia.net

الحزينة الباردة والتي عادت تتدفّق خائفة .. (يا فراس .. أين يدك ، فالليل بارد وحزين ؟..) خائفة ... (كان الليل حزيناً وبارداً ، ونحن في طريقنا إلى « البستاني هول » . مررنا بمبنى كلية الطب حيث أقضي أكثر ساعات النهار . كان من الصعب أن أصدق أن خلف تلك الجدران المعتمة مقاعد خشبية بريئة نلتصق بها بهدوء ، ونوافذ تنسكب منها أشعة شمس مضيئة .. في الليل يتغير وجه العالم ، وربما يستعيد وجهه الحقيقي . أحسست بأشياء مرعبة تغلي داخل البناء . الهياكل العظمية تتحرك وتتجه نحو النوافذ المغلقة . عبثاً تحاول الهرب .. ربما يجلس بعضها في الزوايا ، لينتحب بصمت وبراءة ، من أجل أشياء لا يدري إذا كان قد ارتكبها حقاً .

بحثت عن يدك في الظلمة . كانت كبيرة ودافئة كسقف دار ، كأيدي الآباء جميعاً .. أردت أن أقول شيئاً ، رغم حفنة الرماد الصدئة في حلقي .. ربما كنت ارتعد كطفلة يتيمة خائفة لأنك سألتني : متى تلقيت آخر رسالة من البيت ؟..

ـ تلقيت آخر « حوالة » منذ أيام في موعدها المحدد ، فسكرتير أمي ، في منتهى الدقة والحرص في كل شيء !... على أية حال ، لا أتوقع منها رسالة قبل انقضاء فترة الاعياد : الميلاد ، ورأس السنة ..

ورأيت بيتنا الكبير في المدينة المجاورة يغلي ... أمي مشغولة ، مشغولة دائماً ... لا أدري كيف وجدَت الوقت ذات يوم لولادتي ، وربما أبقتني في جوفها شهراً إضافياً ريثما وجدت لي في زحمة مشاريعها ومواعيدها وقتاً ، ولهذا فأنا مصابة أبداً

Akhawia.net

بضيق خانف من الحدران .. ربما أكره المدارس الداخلية لهذا السبب ...

أراها الآن بقامتها الرشيقة ، تقف بين دوامة من الخدم الذين يزينون المكان .. وجهها على صينية لها مفرش من الدانتيل والتنتناه ، وتحتها ثوب من الحرير .. من وقت إلى آخر ترسل من سيجارتها المغزوزة في « بز » من العاج الثمين الحفر ، دخاناً شفافاً ... انها أبداً هكذا ، أنيقة وجميلة ، كما هي في صورها في الصحف ... أنيقة وجميلة كالصقيع النائي .. لا تتعب ، ولا تذبل ، كالزهور الاصطناعية .. كأهدابها الاصطناعية .. كالتماثيل الجميلة القد ، لا تسمن ولا تنحف ولا تتهدل أثداؤها .. وكلما جاءت الخادمة التي أرضعتني لتزورني متحببة ، كنت أتمنى أن أتقيأ نفسي . وبعد أن تذهب ، أتجسس على أمي في غرفة نومها ، لأنني أشك في ان لها جسداً كبقية (المرضعات) وفي انها التوأم الآخر للتمثال المرمري الجميل في الصالة الكبيرة .

– ليلى .. أين أنت ؟

أيقظني صوتك . أعادني من غابة إلى غابة .. وتلفت . كنا ما نزال نهبط الدرج الذي يمتد على طول التلة الكبيرة ، وعلى جانبيه تقع أبنية الجامعة المختلفة ، وفي أسفله (البستاني هول) .. اذكر انني أردت أن أقول شيئاً ، حينما بدأ نحيب ممطوط حزين متقطع ، ينطلق من بين القضبان الحديدية والشبك على نوافذ البناء الذي نمر به .. ثم تلاحق النحيب وتكاثر ، وتعالى ، صار شبيهاً بعواء مئات من الرجال ، المنهكين تعذيباً ، والذين تسيل الدماء من ألسنتهم المقطعة ..

أحسست بك تشد على يدي ، ويدك تكبر وتكبر ، وأنا

Akhawia.net

صغيرة ووحيدة أتكوم في ركنها ، وأطمر رأسي تحت أحد أظافرها ، هرباً من الأصوات الفظيعة ..

ـ ليلى .. ما هذه الأصوات ؟.. ما هذا المبنى المواجه لبنائكم الداخلي ؟..

ـ ان المبنى الداخلي الآخر !..

ـ وفيه فتيات غريبات ؟.. ما هذا العويل الحيواني ؟

ـ انهن أكثر وعياً وحساسية لذا فهن عاجزات عن النوم ، ويعبرن بصدق عن مشاعرهن ..

ـ ليلى ...

قالها عاتباً ،

ـ لم أكن أمزح ولكن يبدو انك تريد تقريراً باللغة العلمية عن هذا المكان ..

ـ هذا أقل ما ينتظر من تلميذة طب ..

ـ هذا هو المخبر .. فيه مجموعة من الأرانب والقطط والفئران والحيوانات الأخرى ...

ـ لم أسمع في حياتي صوتاً كهذا ..

ـ في النهار أشارك في تخديرها ، وصنع التجاويف والشقوق في أجسادها المتشنجة . تظل صامتة لا تشكو . وأحياناً ألمح في عيونها الصامتة دهشة خائفة لأنها لا تستطيع أن تفهم ، لماذا يحدث هذا كله .. وفي الليل ، ربما ينحسر التخدير ، ولا تبقى إلا مرارة السجن ، والجراح المسمومة ، والخوف ، الخوف الوحش ..

ـ هذا فظيع ..

ـ أبداً ، أحسدها . فهي على الاقل ما تزال قادرة على

Akhawia.net

الانين والعواء والعويل .. ما زالت تفترض ان هنالك من يمكن أن يسمع ، أو يفهم ، أو يمد يده ..

ـ هذا فظيع .. تتحدثين عنها كأنك واحدة منها .. كأنك لست من الفريق ، الذي يشارك في زرع الجرائم والعذاب في حناجرها وفقراتها ..

وازدَدْتُ تكوماً في كفك الكبيرة ، ولم أقل لك انك ربما ستفعل بي الشيء نفسه دون أن تدري .. مددت يدي أتحسس حنجرتي وفقراتي . قفز شيء بين الاشجار فكدت أصرخ . اكتشفت انه (مدجج) . انحنيت احمله بينما استسلَم مرتعداً لقبلاتي . انه خائف . لم يخطر لي أن أتساءل من قبل أين ينام ؟ قدرتك على أن لا تفقد مرحك أدهشتني دائماً . سألتني مازحاً : من الغريم الجديد ؟..

ـ انه مدجج ، القط الذي أتولى اطعامه .. انه يعيش في الجامعة مثلنا ، لكنه أكثر حظاً لأنه غير مجبر على النوم في (البستاني هول) .. انه وحيد دائماً . لا ريب في ان أمه سيدة مجتمع خالدة الجمال ..

ـ مدجج ؟.. هذا اسم غريب .. لماذا اخترته ؟..

ـ سئمت الحديث بالانكليزية طوال الوقت لأن أكثر الزميلات أجنبيات . ان لفظ اسمه يتطلب منهن جهداً لم نبذله في تعلم لغتهن بأكملها .. اسمه انتقامي منهن . أمام الباب رميت (بمدجج) إلى عتمة الغابة وأنا أحسده .

ـ سأتصل بك هاتفياً بعد نصف ساعة لأقول لك مرحباً ... مرحباً ..

مرحباً ... أهلاً ... فراس ... فراس ... أي شيء ...

Akhawia.net

كان المهم أن أسمع صوتك في الليل بعد أن تغلق الابواب ، كان جرعتي المخدرة ، كان وحده يحميني ، يعيدني فتاة سوية قادرة على النوم كأية فتاة في شارعنا الحزين الذي يمتد على جانبيه شريط من الغرف ، ولكل باب رقم ، واسمي في بيتي هذا : الرقم ٢٠٢ !.. كان وحده ، الصوت العميق ، الدافيء ، كلبن أم امتُص للتو ، المفعم بالحنان ، كان وحده ، يطغى على أصوات جيراننا في البناء الداخلي الآخر المرعب ، وكان وحده يحولني من الرقم ٢٠٢ في شارع اللواتي أمهاتهن سيدات مجتمع ، إلى ليلى التي تفرد لها ضفيرتها قبل أن تنام وتمشط شعرها بأصابعك وترسل الغطاء عليها ثم تقبلها في جبينها وتغلق الباب بهدوء ...

– فراس .. تصبح على خير ..

– ليلى .. حبيبتي .. اذهبي ونامي ...

وعلى رؤوس أصابعي العارية أتسلل على الدرج عائدة إلى غرفتي . ولا أشعر بأي حقد حينما أصل إلى الممشى ، شارع الغرف المتشابهة ، وأرى أضواءها كلها مطفأة ، وأنفاس النوم الكسولة ، تنسكب من شقوق الأبواب بتكاسل أبخرة ثقيلة . وأنام ..

ولا أحلم بذلك الحلم الرهيب الذي لاحقني طيلة حياتي .. حلم الخوف .. الخوف .. خوف اليقظة .. الخوف .. إني خائفة ..)

خائفة .. الحفارة تعمل في صدري .. النحيب يتعالى .. الجمجمة لم تعد صديقة ... الرعب يتدفق من عينيها ... في القبو وليمة وحشية للصراخ ... يجب أن أمسك يداً ما

Akhawia.net

(يا فراس .. أين يدك ؟.. بحجر كبير أهشمها وأبكي لأغسل دمها) ..

التفت إلى شريكتي الباكستانية في الغرفة انها ليست موجودة إلا حينما تزعجني .. انها نائمة .. شيء لا يصدق انها تستطيع ان تنام هكذا ... ان تفتح فمها بهذه البلاهة ، أن يعلو صدرها ويهبط بهذا الانتظام ... شيء لا يصدق انها تسجن نفسها هكذا ، تسجن نفسها وتسخر من (البارتي) والشبان ، وتصلي من أجلي لأنها تجدني طفلة ضالة ، ثم تأوي إلى فراشها تقرأ أحد الكتب الجنسية البذيئة ، التي جلّدتها بغلاف كتب عليه «الاخلاق في الحياة الدنيا والآخرة» ... انها نائمة ، والعالم كله ينزف رعباً ... ربما كانت ميتة .. ربما كانت ميتة ... ربما ماتت خوفاً دون أن أدري ... ربما ماتت لذة وهي تقرأ وتقرأ في كتبها .. ربما ماتت تُقى أثناء صلاتها قبل النوم ..

أريد أن أنهض وأهزها ، لا أستطيع أن أتحرك . أنا يابسة ، يابسة . زهرة جففت بين دفتي مجلد الطب الكبير أمامي .. أنا ضائعة .. أريد أن أصرخ (زبيدة .. هل أنت ميتة) لا أستطيع لا أستطيع شيئاً .. كما في الكوابيس الفظيعة .. الحفارة في صدري .. يد مجهولة معقوفة الأظافر تدفع بها .. الدم والحصى يتناثر على وجهي .. لولا الرماد في حلقي لصرخت .. (يا فراس .. هل كنت تفهم معنى ان نفترق) خائفة .. ببطء .. ببطء مخيف يرتجف مقبض الباب . يتحرك .. تعلو الصرخات .. يفتح الباب .. تتدفق موسيقى الوليمة في القبو ... مَنْ من من يمكن أن يأتي الآن ؟.. مَنْ صاحب اليد ذات الأظافر المعقوفة؟

Akhawia.net

تدخل فتاة أظافرها ليست معقوفة .

— ليلى .. كفاك دراسة .. كلهم يسأل عنك ، تعالي قليلاً ، فالحفلة قد شارفت على النهاية على أية حال ...

كان من الصعب أن أجيبها بالانكليزية ، وحتى بالعربية . أحسست باللغة شيء مضحك وسخيف ، والحديث الوحيد الحقيقي هو انتحاب سجناء البناء الداخلي الاخر .. حديث من طرف واحد . الحوار اكذوبة .. الالتصاق وحده هو الحوار الحقيقي .. الانسكاب .. ان انسكب من أمي .. أن ينسكب لبنها في جوفي .. أن ينسكب فراس في ارتشافي ..

ولكني خائفة .. فلأهبط قليلاً .

الطرب ما يزال يهزها .. تقف وتحرك قدميها مع الالحان المتوترة من القبو .

بينما أغلق ازرار ثوب بسيط ينفد صبرها .. وربما ما يزال صديقها واقفاً في الحلبة وفاتحاً ذراعيه بانتظارها كما تركته . قالت : « الحقي بي بسرعة » .. تخرج .. ألحق بها بعد دقائق .

أهبط الدرج إلى القبو . أمرّ بالهاتف . أمسك بسماعته وأدير أرقامك كالمخدرة .. وأسمع صوتك مشحوناً بالنعاس والتأفف .. آلو .

(يا فراس كيف تستطيع أن تنام الليلة .. الليلة وقد عدت ذئباً وحيداً ، وخلفتني ليلى بلا جزار) ..

بكلتا يدي أقبض على السماعة ، وبثقلي كله أشدها واقطع الشريط الاسود .. الجسر الاكذوبة للالتصاق الاكذوبة .. غداً سأكون المتهمة الوحيدة .. فأنا كما يعرف الجميع شريرة ..

Akhawia.net

الشريرة الوحيدة .. كيف يمكن لامرأة رقيقة وراقية أن تنجب فتاة شرسة هكذا ..

على باب القبو أقف .. عبثاً أنتمي إلى عالمهم .. الاضواء لففنها بالورق الملون وامتزج الأحمر القاني بالأزرق الخافت بأخضر الغابات المسود .. وعلى الجدران الاوراق المقصوصة .. وعلى الرؤوس الطراطير ، والفتات الملونة لم تُنفض كلها عن الوجوه ، فالتصقت بالعرق ، والضجيج ، وزملاء الدراسة يلعبون أدوارهم الحقيقية ، والضحك ، وقرع الطبول ، والرقص والشعر المتطاير ، والريح في الخارج خائفة ، واليد المجهولة ذات الأظافر المعقوفة تتخبط في الفضاء بحثاً عن صدر تـزج بالحفارة فيه ، والحفارة في صدري ، والمخلوقات السجينة في البناء الآخر رغم كل شيء أسمعها تلهث في أذني (يا فراس ... كان من الصعب أن تفهم ، وإلا لما استطعت أن تنام) ، والثياب تتطاير ، وأنا أزداد التصاقاً بالباب ، بحاجة إلى أن التصـق بشيء ما .. الوجوه تدور أمامي ، تدور ، تدور ، تقفز ، تصرخ ، تهذي ، الموسيقى تعول ، الطبل الطبل ، فجأة أرى الاقدام عارية ، الثياب مخيفة الالوان ، الطبل وحده ضرباته وحشية متلاحقة ، القبو المزين غابة في الليل ، والنار ، ووليمة وعلى الوجوه أصباغ مخيفة ، والعويل ، والبناءان صارا بنـاء واحداً ، وجوقة النحيب هناك ، هنا ، والسماء لوحة فولاذية ليس عليها حرف واحد ، ثم كرة صغيرة ثم شحنات مجهولة تتدفق منها ، ويسري وعي مبهم بخطر فظيع ، الكل يتلفت حوله ، والخوف ، والرقص الوحشي ، وعلينا أن نرفع ضحية ما بطريقة ما لنهرب من مصير ندفع اليه ، لنهرب من تعذيب أحـدنا

Akhawia.net

للآخر . فقدنا القدرة على المراوغة ، وفي الاعلى اليد الكبيرة ذات الأظافر المعقوفة تهيمن ، نطيع ونتوقف عن انتحال الاسباب وتسخير المنطق ، والقرع الفظيع ، والرعب ، والهستيريا من الضربات العارية على الأرض ، أين دبابيسي . ليخرج كل دماه .. أين الدبابيس خائفة .. خائفة ..

وأركض .. أركض .. أنا في الغابة خائفة ، أنا في الغابة .. يجب أن أهرب .. أن أهرب .. ان أهرب ، يجب أن يتوقف كل شيء بطريقة ما ، أهرب مما لا أدريه إلى ما لا يوجد .. ماذا ؟ ماذا ؟ كيف ؟ لا !..

ربما بعنف أغلقت باب غرفتي ورائي . زبيدة شريكتي (بالقرعة) في الغرفة تقفز بهلع من نومها .. النور الباهت على مكتبتي ما يزال مضاء .. تصرخ رعباً وهي تنظر في وجهي ، ثم في مشهد الدمى المشنوقة المتدلية من الجدار خلف المكتبة ..

— هل عدت إلى هذه الاعمال الفظيعة .. اقدم شكوى غداً ضدك وسأطلب نقلي من هذا الجحيم الوثني .. لا أستطيع أن أعيش في غرفة واحدة مع شريرة . انظري إلى وجهك في المرآة ...

ونظرت إلى المرآة ولم أرَ فيها شيئاً !.. على الجدار يتأرجح شريط الدمى المشنوقة في الريح .. دمية لامرأة جميلة وجهها على صينية من الدانتيلا والتنتناه وثوبها الطويل من الحرير ، وفي فمها (بز) عاجي صغير ، وعود يشبه سيجارة .. وعلى صدرها عُلقتْ ورقة بيضاء ، صغيرة ، برقية ، بعشرات الدبابيس غرزتها وثبتها .. برقية تلقيتها بعد الاعياد ..

... انفجرت ضاحكة أمام الموظف المشدوه .. برقية ؟.. برقية

Akhawia.net

من والدتي مع الحوالة النقدية ؟.. قلت ربما كانت برقية تهنئة بعيد ميلادي . بعيد خلاص رشاقتها منذ عشرين عاماً من التشويه الذي أحدثته لأشهر ...

وقرأت : « تم الطلاق بيني وبين والدك ... اختاري أحدنا » ..

وانفجرت أضحك .. نكتة حلوة سأرويها لصديقتي الحمجمة ونحن نغرس الدبابيس ونضحك ..

أعطيت البرقية للموظف المشدوه وطلبت منه قراءتها .. كنت بحاجة لأن يشاركني إنسان ما ضحكي . يشاركني .. يبدو انه لم يفهم النكتة .. سألني بلطف مشفق إذا كنت بخير ..

في طريقي إلى الجانب الآخر من التل لم أتمالك نفسي من الضحك .. رغم نظرات زبائن (فيصل) و(انكل سام) المدهوشة .. أن أختار أحدهما !!.. كيف أختار إذا كنت لا أعرف عنهما إلا أخبارهما في الصحف ؟.. ربما كانت الآن تجري حصر الامتعة استعداداً ليتقاسماها فيما بينهما ، وحصر الفواتير لتقسيم الثروة ، وتذكّراني لما وجدا فواتير المرضعة والمدارس الداخلية ..

تطلب مني أن أختار أحدهما !..

خمسة عشر عاماً وأنا وحيدة ، أتسول يداً كبيرة دافئة كسقف دار . خمسة عشر عاماً من جحيم إلى جحيم ، وأنا دوماً النعجة السوداء الشاردة .. خمسة عشر عاماً وليلى في الغابة بحثاً عن الذئب كي يؤنس وحدتها .. خمسة عشر عاماً وأنا أينما حللت الشريرة الشرسة .

Akhawia.net

ان أختار أحدهما !.. كأنْ كان لي أحدهما كي أختار .. وطويت البرقية .. وفتحت مفكرتي وأنا أغادر باب الجامعة وأسير في الجانب الثاني من التل ..

واتجهت إلى مخزن « معتوق » . اخترته لا لمنظر الحلويات في واجهته ولكن لأن اسمه « معتوق » .. اسم عربي كاسم « مدجج » فقد سئمت الحديث الدائم باللغة الأخرى .. خلف الموظف كان وجهي في مرآة .

— أريد كعكة لعيد ميلاد الحمجمة .

— ماذا ؟..

— قلت لك لعيد ميلادي .. أريدها كهذه الكعكة ..

— حاضر . عنوان البيت ؟

البيت ! كلمة مرعبة ...

— بيتي شارع طويل على جانبيه شريط من الغرف المتشابهة و ....

— عفواً .. لم أفهم اسم الشارع ..

— المصيطبة .. رقم ...

اعطيته عنوان دارك يا فراس ..

— والاسم ؟

— رقم ٢٠٢ ..

— عفواً لمقاطعتك ، ولكن لا حاجة لرقم الهاتف . الاسم فقط ..

— بالضبط ... ٢٠٢

— لم أسمع ...

— فراس !.. المهندس فراس هاشم ..

Akhawia.net

وخرجت هاربة . كان من الصعب أن أفسر له ان بنـات سيدات المجتمع صاحبات الجمال الخالد (بلا اسماء وبلا عناوين) ...

زبيدة ما تزال تصرخ . في عينيها خوف تافه لئيم . الخوف ، لو تعرف ما الخوف (يا فراس .. أحقاً انك نائم ؟.. هـل استطعت أن تنام مثلها ؟) ..

ـ انزلي هذه الدمى .. الغرفة مليئة بالأرواح الشريرة .

تتثاءب من جديد .

ـ لم أنم ثانية واحدة منذ جئت إلى هذه الغرفة المشؤومة .

تمد يدها إلى المنضدة ..

ـ سأقرأ بعض الادعية لأنام .

تلتقط كتابها الجنسي ذا الغلاف « أعمدة الحكمة السبعة » وتسوي غطاء فراشها وسجادة الصلاة التي تحب أن تمدها فوق الأغطية !.. تشعل النور الصغير فوق رأسها .. فك الجمجمة يتوقف لحظة عن الارتعاد .. تصوب إلى زبيدة من مغارتَيْ عينيها أشعة سوداء قاسية .. ثم يعاود وجهها ذلك التعبير الساخر الحلو ..

بحنان أتحسس عظامها ..

ـ يا جمجمتي الحسناء .. لو كنت دافئة فقط ..

تصرخ زبيدة : كفّي عن مخاطبة الجمجمة ، هذه وسيلة ايضاح لدراستك وليست صديقة ثالثة في الغرفة .. وللمي هذه الدمى ...

الدمية الثـانية .. لرجل بلا وجه ، أشيب الشعر متنفـخ الجيب .. كانت جيوب أبي منتفخة دائمـاً ، ولم يكن

Akhawia.net

فيها قط حلوى لي .. في درجي الخاص أدفنهما من جديد ..

وفي الدمية الثالثة ، دميتك ، أدفن دبوساً جديداً ..

أعض على شفتي لأمص من شفتي دمك ..

قد أبكي إذا آلمتك ، فاستريح ..

افترقنا ..

لم يحدث شيء .. أبداً كنت خائفة ، أبداً كانت الغابة موحشة والليل طويلاً ، وأنا سجينة انتمي إلى قافلة الاحتجاج الدامي في البناء الداخلي الآخر .. (يا فراس .. لا ريب في انك لا تدري .. لا ريب في ذلك فقد كنت أبداً كبيراً وكريماً .. وفي لحظات الغروب كنت أحب أن أراك ، لأن ظلك على الرمل كان طويلاً طويلاً أركض وأركض لادرك الرأس فيه .. وتغيب الشمس ويختفي قبل أن أصل إلى نهايته العملاقة .. انك متعب ، ولا تدري ، ولهذا أنت نائم .. آسفة لأنني أيقظتك) ..

تعود الحفارة إلى صدري .. لا .. لست آسفة لست بآسفة كان عليك أن تدري .. لقد سمعتَ الاصوات ذات ليلة .. خذ ، هذا دبوس آخر في دميتك ...

ربما أبكي إذا استطعت أن اؤلمك ، فأستريح !..

(.. تصرخ الراهبة في وجهي : ابكي .. كوني طفلة طيبة تصلّي وتكتب الرسائل لأمها .. ابكي فالفتيات الشريرات فقط لا يبكين ولا يستغفرن ..

وكنت أبكي بمرارة بلا صوت ولا دموع .. كان من الصعب أن أتعرى أمامها .. كنت أحس انها بلا قلب ، وانني بحاجة

Akhawia.net

للبكاء لأني خائفة ، لا لأنني طامعة في قطعة من الحلوى كبقية الفتيات .

ـ سأعاقبك ولن أسامحك حتى تبكين .. اديري وجهك للحائط وقفي على ساق واحدة .

وتحجرت !.. كسرة خبز جافة للعشاء وكأس ماء . لم آكل قطعة الخبز لكنني وأنا أشرب الماء تذكرت حلماً فظيعاً رأيته ولا أدري كيف أطبقت بأسناني على الكأس ..

وعرفت طعم الزجاج المسحوق بالاسنان ، الممزوج بدم مالح وحار ..)

كفّت الموسيقى . ربما تعبوا . اسمع وقع خطى كثيرة على الدرج . مارسنّ تخديرهنّ وودعن الفرسان . وعدن إلى جحورهن .. وسوف ينمن بسلام كما في كل ليلة ، ولن يسمعن الاصوات المخيفة .. زبيدة تطفئ النور الصغير فوق رأسها . ترمي بالكتاب من يدها لتنام من جديد وهي تتمتم : لم أعرف طعم النوم منذ جئت إلى هذه الغرفة المشؤومة ..

أنا من جديد مسمرة خلف منضدتي .

خائفة ، رغم أصوات الأبواب التي تفتح وتغلق وانسكاب المياه وصوت بقايا النشوة الضاحكة .. الضحك . يضحكن رغم انتحاب مخلوقات البناء الآخر المقابل ، ويحلمن .. رغم كابوس ليلى في الغرفة المجاورة .. الجوع وحده هو الذي يجمعنا إلى مائدة واحدة . . لا جسر لا خيط لا حوار .. (يا فراس .. لا جسر لا خيط لا حوار ؟.. ويدك ؟ سقف سحابة ؟ يا فراس .. لا يهمني كيف ولماذا ، كل ما أعرفه هو انني لن

Akhawia.net